٩

مدينة الظلام

عملية

خادمة القصر (٣)

حارس جهنم

فريق متميزون

E-BOOK

د. شريف صبرى

سما للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (حارس جهنم)

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل سلسلة حارس جهنم للدكتور شريف صبري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة حارس جهنم
مدينة الظلام
العدد رقم (08)

عملية خادمة القصر ج3

تأليف: د. شريف صبري.

أمير الوكيل.. (حارس جهنم)

ضابط شُرطة ومحقق بمكتب البحث الجنائي، وهو في منتصف الثلاثينات من العمر، يميزه شعره الأحمر الناري والذي بسببه ينسبونه إلى جهنم، وله بشرة خمرية مع بعض النمش المتناثر على وجهه بينما منحه جسده الرياضي وقامته الطويلة طلة وسيمة في حين ملامحه دائمًا ما تكتسي بالجدية، ضابط شُرطة ومحقق بمكتب البحث الجنائي، وهو في منتصف الثلاثينات من العمر، يميزه شعره الأحمر الناري والذي بسببه ينسبونه إلى جهنم، وله بشرة خمرية مع بعض النمش المتناثر على وجهه بينما منحه جسده الرياضي وقامته الطويلة طلة وسيمة في حين ملامحه دائمًا ما تكتسي بالجدية، فلم يره أحد - من كل من يعيشون حوله- مبتسمًا ولو مرة واحدة فقط.

منذ أن رحلت زوجته وطفلته الوحيدة وهو لا يمتلك أي شيء في الحياة ليشغله عن عمله حتى أن زملاءه يقولون عنه؛ أنه نذر حياته لجهاز الشرطة وعند ترقيته لرتبة المقدم في العام الماضي؛ قال له رئيسه في العمل:

-أنت اليوم لست (أمير الوكيل) بل أنت (أمير جهنم).

تدور أحداث هذه السلسلة القصصية (النصف حقيقية) في إحدى البلدان التي يحدها الجنون من الشمال وتحدها من الجنوب الدهشة بينما ساحلها الشرقي يطل على بحرٍ من الدماء، وفي الغرب ستجد سلسلة من جبال الخوف.

وكل دول العالم لا تنصح رعاياها أبدًا بالسفر إلى هناك.

د. شريف صبري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-1-

بأكثر مما يمكن أن يتحمله قلبها الرقيق من حيرة، أخذت (نورا) تسير جيئة وذهابًا في غرفتها بمكتب التحقيقات الجنائية، وهي تكاد أن تصرخ من الخوف والقلق والتوتر والتعب والإرهاق والتردد، ففي هذه اللحظة هي تشعر أنها مجرد أنثى أكثر منها ضابط شرطة.

- أين أنت يا (حارس جهنم)؟

وجهت هذا السؤال إلى نفسها وهي تغادر مكتبها في مبنى التحقيقات الجنائية، وتعين عليها أن تجد أولًا إجابة قاطعة لهذا السؤال قبل أن تنتقل للتفكير فيما يجب عليها أن تفعله في عملية (خادمة القصر) التي لم تدم فرحتها بحلها أكثر من دقائق معدودة قبل أن تتعقد وتتشابك أحداثها مرة أخرى.

- سأذهب إلى بيته.

هكذا قررت (نورا) أن تفعل، وها هي في طريقها إلى حيث يسكن (أمير الوكيل).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمام الباب الموصد وقفت (نورا) وهي تشعر بدقات قلبها تكاد أن تكون مدوية كطلقات المدفع بينما أخذت أنفاسها تتلاحق بشدة من كثرة الخوف والتوتر والإثارة الذين يعصفون بها، فما الذي ستجده بالداخل؟

طرقت الباب وهي على يقينٍ من أنها لن تتلقى أي إجابة، وهذا ما حدث بالفعل، وكانت قد عقدت العزم على أنها ستقتحم منزل (أمير) عنوة مهما كلفها الأمر.

وبعد دقائق قليلة من استخدام مهارتها، أصبح الباب مفتوحًا على مصراعيه، فتقدمت بخطواتٍ مرتعشة إلى الداخل، فجل ما تخافه هو أن تجد نفسها وجهًا إلى وجه مع (أمير) وقد أصابه مكروه ما، فحينها لن تعرف أبدًا كيف سيكون رد فعلها.

وبدأت تتقدم في الردهة وهي تتأمل المكان بحذرٍ وترقب بينما جميع حواسها تعمل بكامل طاقاتها، وكان المنزل هادئًا مظلمًا، مرتبًا نظيفًا، ولا تفوح منه أية روائح وكأنه مغلق منذ أعوام.

فأضاءت (نورا) أضواء الصالة لتُصبح الرؤية أكثر وضوحًا.

وأكملت تفقدها لكل ما حولها، ومن الردهة توجهت إلى المطبخ، ومنه إلى غرفة نوم (أمير) التي وجدتها ذات طابعٍ خاص، فشعرت وهي فيها وكأنها داخل لوحة فنية في غاية الروعة، فالغرفة ذات نسقٍ ينم عن ذوقٍ رفيع في اختيار الألوان وقطع الأثاث وحتى في الورود التي تملأ زواياها.

ومن غرفة النوم، ألقت نظرة على الحمام قبل أن تذهب إلى الغرفة الأخيرة التي حولها (أمير) إلى مرسمٍ خاص به، فوجدتها بخلاف بقية المنزل غير مرتبة، فاللوحات الغير مكتملة متناثرة في كل مكان، وكذلك العُلب البلاستيكية المليئة بالألوان.

وأخيرًا توجهت ناحية اللوحة التي كانت موضوعة على حاملٍ خشبي بجوار الشرفة، وتأملتها بعمق، فوجدت أمامها طفلة ربما تبلغ من العمر سبعة أعوام وشعرها الأرجواني يتمايل مع نسائم الهواء التي أخذتها معها في نفس الاتجاه، وتلك الخصلات بلونٍ أحمر ناري قريب الشبه

من لون شعر (أمير) بينما ملامح الطفلة تحمل كل ما خلقه الله من رقةٍ وجمالٍ وبراءة.

ولم يكن لدى (نورا) أي شك في أن تلك الصورة هي لابنة (حارس جهنم) فهي تمتلك نفس شكل عينيه ونفس نظراتهما ونفس لونهما العسلي الفاتح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادرت المحققة الشابة ذات الطموح الجارف شقة الرجل الذي يُعرف في طول البلاد وعرضها باسم (حارس جهنم) الرجل الذي طالما أشعرها وجوده بجوارها بالأمان التام، وها هو غيابه يُشعرها بالذعر والرعب الحقيقيين.

فأين يكون قد اختفى (أمير)؟

وهل (حارس جهنم) في هذه اللحظة بحاجةٍ إلى من يحرسه؟

وما هو الذي يتعين عليها أن تفعله لتعرف ما الذي قد حل به؟

وتمتمت وهي تبدأ بقيادة سيارتها قائلة:

- يبدو أنه لا أمل في الحصول على أدنى قسطٍ من النوم أو الراحة هذا الصباح.

قالت تلك الجملة وهي تعود أدراجها إلى مكتب التحقيقات من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع الخطوة الأولى لها داخل المبنى، سمعت (نورا) صوتًا من خلفها يناديها بلهفةٍ وسعادة:

- أيتها المحققة، هل تسمحي لي بخمس دقائق من وقتكِ؟

فالتفتت ناحية الصوت، فإذا هي شابة جميلة الملامح ذات شعر أسود حالك يصل إلى منتصف ظهرها أو إلى ما بعد ذلك بقليل، ولها جسد أنثوي متناسق، وبشرة حنطية مميزة.

توقفت (نورا) في مكانها وأمعنت النظر في عيني تلك الشابة التي أكملت بنبراتٍ حماسية وهي تلهث، وكأنها كانت تعدو من مسافةٍ طويلة:

- أنا الصحفية (ريم الحكيم).

ثم صمتت للحظاتٍ كي تلتقط أنفاسها قبل أن تكمل قائلة:

- عذرًا، فما أن لمحتك تقتربين من هنا حتى أسرعت بالركض كي أحظى منكِ بسبقٍ صحفي بخصوص قضية (خادمة القصر).

ولكن (نورا) تجاهلتها وهمت بأن تكمل طريقها إلى الداخل، وهي تقول:

- لا شيء يمكنني الحديث عنه الآن، فالقضية لم تُغلق بعد.

إلا أنها عادت لتتسمر في مكانها بعد أن سمعت (ريم) تقول:

- في واقع الأمر لقد وعدني المقدم (أمير الوكيل) بنفسه بأن أحصل على هذا السبق الصحفي في تلك القضية بالذات.

فسألتها (نورا) على الفور:

- ومتى حدث هذا؟

أقصد متى التقيتِ ب. (أمير) وجهًا لوجه؟

فشعرت (ريم) بحسها الصحفي أن هناك خطبًا ما ليس على ما يرام، لذا توخت الحذر وهي تجيب في أقل عددٍ ممكن من الكلمات:

- قبل ليلتين.

فسألتها (نورا) السؤال التالي، والذي بالتأكيد توقعته (ريم):

- وأين كان ذلك؟

فأجابتها:

- لقد جاء لزيارتي في البيت.

فظلت (نورا) تنظر إليها نظرة معناها:

- هيا أكملي، كلي آذان مصغية.

وإن لم تقل ذلك علانية إلا أن (ريم) قد فهمته، فأكملت قائلة في أضيق الحدود:

- لم يطل الأمر، فقد تحدث معي عن التقارير الصحفية التي كنت أكتبها وأهاجم فيها بطء عملية التحقيق، والتراخي في إلقاء القبض على قاتل (منال) في حين أن جميع سكان المدينة يعرفون من الفاعل.

عند هذا الحد، اكتفت (نورا) من الحديث مع (ريم) وأرادت أن تغادر إلى داخل مبنى البحث الجنائي، فقالت باقتضاب:

- حسنًا، يمكنكِ أن تتركي رقم هاتفكِ عند هذا الشرطي، وأعدكِ بأن أعاود الاتصال بكِ في حال توصلنا إلى شيءٍ جديد في القضية.

ودخلت إلى المبنى وهي تنظر إلى الشرطي الواقف عند المدخل، وتشير إليه بألا يسمح لأحدٍ بالدخول خلفها في حين بدأت (ريم) في الحديث بصوتٍ مرتفع كي يصل إلى أقصى مدى ممكن:

- أيتها المحققة، ألم تقوموا بإلقاء القبض على السيد (مالك أمين) بتهمة قتل الخادمة (منال)؟

ولم تجبها (نورا) بطبيعة الحال وأكملت سيرها في حين صرخت (ريم) بصوتٍ جعلته أعلى حتى أن كل من كانوا في مدخل المبنى قد استمعوا إليه:

- أيتها المحققة، أين المقدم (أمير الوكيل)؟

وهل هو بخير؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يعد هناك بد، فستلجأ (نورا) إلى أمرٍ فكرت به منذ الأمس ولكنها أجلته لآخر ما يمكنها،

ولكن ها هي تمسك بالهاتف لتتحدث مع اللواء (سعد الهاشمي) مدير المكتب العام للبحث الجنائي بالعاصمة، والرئيس المباشر لـ (أمير) لسنواتٍ طويلة قبل أن ينتقل إلى العمل هنا في مدينتها.

وشعرت بقمة الحرج وهي تخبره بأنها لا تتمكن من العثور على (أمير) منذ يومين، إلا أن الرجل قد أسرع يقول لها بأدبه الجم وطريقته الراقية في الكلام:

- أنا في غاية الأسف أيتها المحققة، فالخطأ خطئي، فـالمقدم (أمير) هنا في العاصمة منذ الليلة قبل الماضية، فـوالده قد تدهورت صحته بشكلٍ مفاجئ حتى أنه دخل في غيبوبةٍ عميقة، والأطباء يقولون أن حالته ميؤوس منها، وأنا تكفلتُ بأن أخبركم في مكتب التحقيقات بأن (أمير) قد طلب الحصول على إجازةٍ طارئة، ولكنني نسيت بسبب الكثير من المسؤوليات الملقاة على عاتقي، فأرجو أن تعذريني، وتهانينا الشخصية لتمكنكِ من حل عملية (خادمة القصر) بمجهودك الخاص، فقد أثنى عليكِ المقدم (أمير) كثيرًا عندما التقيته في المستشفى بالرغم من حالة والده المتأخرة.

بعد أن أنهت الاتصال مع اللواء (سعد الهاشمي) تنفست الصعداء، فبالرغم من الغصة التي شعرت بها عندما علمت منه بمرض والده الخطير والذي ذكرها باللحظات الأخيرة لأبيها عندما توفي بين يديها منذ عدة أعوام، ولكن بالرغم من كل هذا شعرت بالراحة الشديدة عندما اطمأنت أن (أمير) نفسه بخير، فقد كانت في حالة هلعٍ من أن يصيبه مكروه.

والآن يجب أن تتفرغ لتلك اللعبة السخيفة التي يلعبها السيد (أمين) وابنه، فتلك القضية يجب أن تحسم في أسرع وقتٍ قبل أن تتحول هي وكل من يعملون في مكتب البحث الجنائي إلى أضحوكة يتندر بها جميع سكان المدينة.

المدينة التي أطلق عليها (أمير) منذ اليوم الأول له بها اسم (مدينة الظلام).

وفكرت (نورا) وهي على باب مكتبها فيما يجب أن تفعله في هذه اللحظة، وشعرت بحيرةٍ شديدة، وجال بخاطرها أن (أمير) ربما سيذهب على الفور للحديث مع السيد (أمين) فهل يجب أن تفعل ذلك هي الأخرى؟

إلا أنها حسمت أمرها، واتخذت قرارها بأن تكون نفسها وليست نسخة مكررة من (أمير).

ستذهب إلى البيت لتحصل على قدرٍ مناسب من النوم، فهي لم تنم منذ يومين كاملين، وبعد أن تفعل ذلك ستفكر بذهنٍ صافٍ فيما يجب أن تكون خطوتها التالية، وقبل أن تغادر المبنى، أعطت أوامرها بالتحفظ على الرجال الثلاثة:

(مالك)

(أمين)

(مرزوق)

كل واحدٍ منهم في مكانٍ منفصل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أنا من قتلها.

بتلك الكلمات الثلاث استهل (أمين) حديثه مع (نورا) التي كانت تجلس أمامه بتحفزٍ في غرفةٍ لا يوجد بها أحد سواهما، فبدت كـأسدٍ يستعد للانقضاض على فريسته التي أنهكها الفرار، فقررت أن تستسلم لـقدرها بعد طول فرار.

وقالت له بعد أن تأكدت من نظراته الحزينة الزائغة، ومن نبرات صوته المتقطعة التي تحدث بها، أنه قد أسقط في يده:

- حسنًا، هل من الممكن أن تخبرني بتفاصيل تلك الليلة، وكيف ارتكبت الجريمة يا سيد (أمين)؟

فطأطأ رأسه إلى الأسفل، وأجابها قائلًا:

- في التاسعة من مساء ليلة مقتل (منال) غادرت مقر عملي بصحبة (رحاب) سكرتيرتي إلى بيتها، وقد أخبرتكِ من قبل أننا متزوجان سرًّا، وهناك تناولنا العشاء سويًّا ثم قضينا بعض الوقت حتى وصلني اتصال هاتفي من (سعاد) الطاهية التي تعمل في بيتي، تطلب مني الحضور على وجه السرعة وكان ذلك قبل منتصف الليل بقليل.

ظهرت الدهشة على ملامح (نورا) فهذه هي المرة الأولى التي تعرف فيها هذه المعلومة، ولكنها تركت الرجل يكمل دون أن تقاطعه:

- كانت (سعاد) تتحدث بهلع، ومن خلفها سمعت ضجة عالية ميزت فيها صوت (مالك) وكذلك صوت زوجته (حنان) بينما أخبرتني (سعاد) أن الوضع على وشك الخروج عن السيطرة، وأنه يتعين عليَّ الحضور بأسرع ما يمكن.

ثم صمت (أمين) للحظاتٍ قبل أن يكمل قائلًا:

- وبالفعل غادرت منزل (رحاب) مسرعًا كي أتدارك ما يحدث في منزلي قبل أن يتفاقم الأمر، فأنتِ تعرفين مدى حساسية وضعي الاجتماعي في المدينة.

وعاد من جديد إلى الصمت ولكن هذه المرة لفترةٍ أطول مما حدا ب. (نورا) أن تقول:

- متى تقريبًا وصلت إلى الفيلا؟

فأجابها بأحرفٍ منهكة:

- ربما في الثانية عشرة والنصف صباحًا تقريبًا، وعندما وصلت وجدت ما توقعته بالضبط.

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وقال وقد أصبحت نبرات صوته أكثر حدة بعد أن امتلأت كلماته بالحنق والغضب:

- ذلك الغبي لم يتعلم الدرس أبدًا بالرغم من أنني كنت على يقينٍ من أن كارثة ستحل علينا بسبب تلك الملعونة.

وبدأ (أمين) يشرح ما قاله للتو:

- في اللحظة الأولى التي حضرت فيها (منال) إلى بيتي، راودني شعور في غاية السوء تجاهها، وقررت أن أرفض فكرة أن تعمل في الفيلا، فهي لم تكن من النوع الجيد من النساء كما أن (مالك)

أيضًا ليس هو الآخر من النوع الجيد من الرجال، فكلاهما كان على استعدادٍ تام للخيانة في مقابل شيءٍ ما.

نظر (أمين) في عيني (نورا) ثم قال منكسرًا راجيًا:

- هل من الممكن يا سيدتي، أن تسمحي لي بالتدخين؟

فهزت رأسها بالموافقة، وغادرت غرفة الاستجواب للحظاتٍ كي تحضر له سيجاره الذي يدخنه بعد أن جرده رجال مكتب التحقيقات من جميع متعلقاته الشخصية عندما تحفظوا عليه، وما أن أشعل الرجل سيجاره حتى ملأت رائحته المميزة أركان الغرفة، وعاد للكلام مرة أخرى وعلى شفتيه شبح ابتسامة مريرة:

- بعد أن رأت (حنان) زوجها يتسلل خلسة إلى غرفة (منال) لم تتمكن من تمالك نفسها، فاشتعل الوضع بين ثلاثتهم، وخرجت الأمور عن السيطرة حتى وصلت أنا، وحينها اتخذت القرار بأن أنهي حياة (منال) خاصة بعد أن رأيتها تهدد (مالك) وتتوعده بأنها ستدمره.

فسألته (نورا) على الفور:

- أخبرني بتفاصيل ارتكابك للجريمة.

وأخذت تراقبه بمنتهى الدقة وهو يحك أنفه بينما تحركت عيناه جهة اليمين قبل أن يسعل برفقٍ ويقول:

- انتظرت حتى نام الجميع ثم غادرت مكتبي ومعي آلة فتح الأظرف، وتسللت إلى غرفة (منال) ثم كتمت أنفاسها وذبحتها حتى الموت كي أنهي هذا الكابوس الفظيع قبل أن يتفاقم ويدمر عائلتي بأكملها.

فسألته على الفور وهي تعرف من لغة جسده أنه يكذب:

- كيف كان وضع (منال) وهي نائمة؟

فتردد لثوانٍ قبل أن يجيبها قائلًا:

- كانت نائمة على جانبها الأيسر.

فسألته مجددًا:

- وأين طعنتها في عنقها بالتحديد؟

وهنا خرج (أمين) عن هدوئه، وقال بانفعالٍ وثورة:

- وما الذي يهمكِ في كل هذا؟

وما هو الداعي لتلك الأسئلة السخيفة؟

أنا أعترف علانية بأنني من قتلت تلك العاهرة.

فنظرت إليه (نورا) ثم قالت وهي تغادر الغرفة:

- الداعي يا سيدي، هو أن نكون على يقينٍ من شخصية الجاني الحقيقي وأنه سينال عقابه، فربما باعترافك هذا تريد أن تحمي ابنك الوحيد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ومن الغرفة التي كان يجلس بها الأب إلى الغرفة التي يوجد بها الابن.

دخلت (نورا) على (مالك) الذي كان يستشيط غضبًا ويسير في الغرفة من ركنٍ إلى آخر وكأنه أسد حبيس، وما أن رأته وقد وضع ضمادة على جبينه من أثر الجرح الذي تسبب به (مرزوق) عندما هاجمه في قلب مكتب التحقيقات منذ ساعاتٍ قليلة، وقبل أن تبادر بالكلام قال بثورةٍ عارمة:

- سوف أقاضيكم جميعًا على هذا الغباء، وأنتِ بالذات لن تفلتي بفعلتكِ تلك.

فابتسمت (نورا) ربما كي تزيد من حنقه، وقالت وهي تجلس على كرسي بجوار الطاولة التي في منتصف الغرفة:

- أرجو ألا تضيف المزيد من التهم إلى سجلك يا سيد (مالك).

فأسرع ناحيتها مادًّا ذراعه الأيسر وكأنه سيتهجم عليها، فقالت له بمنتهى الحسم:

- أرجو ألا تضيف المزيد من الجروح إلى وجهك يا سيد (مالك).

فتوقف الرجل وهو بالكاد قد أصبح وجهًا إلى وجه معها، ثم تريث للحظاتٍ قبل أن يذهب ليجلس على الكرسي المقابل لها، وقال بنبراتٍ عالية:

- أنتم من دفعتموني إلى الكذب بحصاركم المقيت لي ومحاولاتكم إلصاق التهمة بي بأي طريقة، فقط لأنني أقمت مع (منال) علاقة غير شرعية، وهذا لا يعني أنني قتلتها.

فأسرعت (نورا) لتقول له:

- بل أنت من ظل يراوغ ويختلق الأكاذيب، وأنت من ضللتنا وأتيت بشهود الزور، ولذا أنا هنا الآن لأمنحك الفرصة الأخيرة كي تقول الحقيقة، ولا تظن أن اعتراف والدك بأنه من قتل (منال) سيبعد عنك التهمة.

وهنا ظهر الذهول الشديد على ملامح (مالك) وقال بدهشةٍ وانفعال، وهو يشير إليها بسبابته اليسرى:

- والدي اعترف، ما الذي تقولينه، أبي لم يفعل أي شيءٍ، إنه فقط يحاول حمايتي ظنًّا منه أنني من قتلتها، ولكنني أقسم لكِ بأنني لم أفعل ذلك.

فقالت (نورا):

- حسنًا، يمكننا أن نطوي كل ما سبق إن أخبرتني بتفاصيل ما حدث ليلة ارتكاب الجريمة بكل صدقٍ وأمانة، وأنت تعرف أن الاعتراف سيُنظر إليه بعين الاعتبار أثناء المحاكمة.

وبدأ (مالك) في الحديث:

- أنهيت سهرتي في (الشيراتون) مبكرًا مع (أسامة وشيرين وسلمى) فقد أثقلت في تناول الشراب

تلك الليلة وبدأت أشعر بصداعٍ شديدٍ ودوار، وعدت على الفور إلى الفيلا في حدود الساعة الحادية عشرة مساءً، فوجدت زوجتي (حنان) نائمة، وكنت أخطط لتناول العشاء معها، فذهبت إلى المطبخ كي أطلب من (سعاد) أن تعد لي بعض الشطائر، فوجدت هناك شجارًا ناشبًا بينها وبين (منال) وكان الوضع مشتعلًا لدرجة أن (منال) كانت تسبّ (سعاد) بعنف، والأخيرة تحذرها بأنها ستجعلها تدفع الثمن، وعند هذا الحد تدخلت على الفور فأبعدت (منال) خارج المطبخ إلى داخل غرفتها، وحاولت أن أحتوي الموقف وأعرف سبب المشكلة، ولكن في تلك اللحظة حدثت مشكلة أكبر، فقد استيقظت زوجتي من النوم ونزلت إلى الأسفل على إثر الصوت المرتفع، وعندما وجدتني في غرفة (منال) جُن جنونها وتحول الأمر إلى جحيمٍ خارج عن السيطرة.

ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يكمل قائلًا:

- في حقيقة الأمر وجدت نفسي بين ثلاث نساء، كل واحدة منهن ترغب بجنون في إزهاق روح الأخرى، وأنا كنت تحت تأثير الخمر ولم أكن أعرف ما الذي يمكن أن أفعله كي أوقف تلك المهزلة سوى أن أغادر المكان، وبالفعل خرجت إلى الحديقة ولم تمر دقائق قليلة حتى وصل أبي ويبدو أنه قد احتوى الموقف بطريقةٍ ما، فقد طلب مني أن أعتذر ل. (حنان) وأخبرني أنه بنهاية هذا الشهر سيستبدل (سعاد ومنال) بسيدتين جديدتين.

وذهبت إلى غرفة نومي ولم يستغرق الأمر مني أكثر من خمس دقائق حتى كنت أغط في نومٍ عميق، ولم أستيقظ مرة أخرى إلا على صراخ (سعاد) فنزلت إلى الأسفل مسرعًا ظانًّا أن الشجار قد تجدد مرة أخرى بينها وبين (منال) ولكن كانت صدمتي لا يمكن وصفها عندما عرفت بما حدث.

ثم عاد بظهره إلى الخلف في الكرسي الذي يجلس عليه، ورفع رأسه إلى الأعلى ثم أغمض عينيه، وقال بهدوءٍ شديد:

- تلك هي الحقيقة كاملة، أيتها المحققة.

فنظرت إليه (نورا) وقالت بعد لحظاتٍ من التفكير:

- سأسألك سؤالًا أخيرًا يا سيد (مالك) من الذي أرسل (مرزوق) إلى مدينة (العرين) ليلة ارتكاب الجريمة؟

اعتدل (مالك) على الفور في جلسته، ثم أجاب:

- لا أعلم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الصباح الباكر لليوم التالي، قررت (نورا) أن تحصل على وقتٍ مستقطع من حرب الأعصاب التي تخوضها منذ أكثر من أسبوعٍ كامل، أي منذ اللحظة التي أعلن فيها الطبيب الشرعي رسميًّا أن (منال) قد أصبحت جثة هامدة.

وقررت أن تحصل على هذا الوقت المستقطع خارج المدينة، فهي ستذهب إلى العاصمة حيث يوجد (أمير الوكيل) لتكون بجواره في تلك الظروف القاسية التي يمر بها ولو لساعاتٍ قليلة،

فبعد أن علمت من اللواء (سعد الهاشمي) أن الرجل في الرمق الأخير من الحياة على حسب ما أخبره الأطباء، بذلك تعين عليها أن تكون حاضرة في تلك اللحظات الحرجة.

وطوال الطريق إلى العاصمة والذي يستغرق قرابة الساعة والنصف، أخذت تفكر في تفاصيل الجريمة التي أصبحت الشغل الشاغل للصحافة ووسائل الإعلام بسبب (ريم الحكيم) الصحفية العنيدة التي فوجئت بأن (أمير) قد قام بزيارتها في الليلة التي سافر بها إلى العاصمة.

وظلت تردد سؤالًا واحدًا لا غير لأكثر من عشر دقائق:

- من الذي قتل (منال)؟

ثم بعد تلك الدقائق العشر، بدأت تُحدث نفسها مرددة اسم كل شخصٍ يمكن أن يكون هو من ارتكب الجريمة، وعلقت عليه من وجهة نظرها الخاصة:

*(مالك) هو أقرب الناس ليكون قاتل (منال) ونسبة تورطه في تلك الجريمة تكاد تتجاوز ال 90% على حسب رأيها الشخصي، وخاصة بعد المشاجرة التي حدثت في الليلة الأخيرة.

ولكن ماذا لو كان الرجل يقول الصدق؟

ماذا لو أنه حقًّا لم يفعلها؟

ماذا لو أنه نام بعمقٍ تحت تأثير الخمر، وأحد غيره هو من قتلها؟

*(أمين) هو أيضًا كان مرشحًا بقوة ليكون القاتل قبل أن تكتشف هي كذب (مالك) بخصوص حجة غيابه ليلة ارتكاب الجريمة، ولكن بعد اعترافه الأخير بأنه القاتل، توقعت هي أن ذلك الأمر سيحسم القضية، ولكنها من داخلها على يقينٍ من أن الرجل يكذب ليحمي ابنه من التدلي معلقًا من عنقه في حبل المشنقة.

فهل حقًّا (أمين) صادق في اعترافه؟

هل حقًّا هو من قتل (منال) كي يحمي أسرته من فضيحةٍ ضخمة، خاصة بعد أن اكتشف أنها تحمل في أحشائها طفلًا، ربما يكون ابنه هو والده؟

هل حقًّا قتلها انتقامًا منها على ما ألحقته بشركته من أضرارٍ مالية كبيرة بعد أن سربت أسرار عمله إلى غريمه التقليدي (سعد وديع)؟

أم ربما هي على حق في حدسها الذي ينبئها أن (أمين) ليس هو القاتل؟

*(مرزوق) الزوج المخدوع الذي بلا شك كان على علمٍ بعلاقة زوجته الغير شرعية مع (مالك) رب عمله، هو أيضًا أنسب الناس ليكون القاتل انتقامًا لشرفه وسمعته، ولكنه يملك حجة غيابٍ قوية وقد تأكدت منها بنفسها.

فهل من الممكن أن يكون (مرزوق) قد خدعها بادعائه الوجود في مدينة (العرين) ليلة مقتل زوجته؟

وبالرغم من أنها رأته عبر كاميرات المراقبة في البنك بأم عينها إلا أن ذلك كان في صباح اليوم التالي، ولا يوجد ما يثبت قضاءه الليلة في المدينة التي تبعد أربع ساعات عن بيته سوى شهادة

صديقه (سراج) فهل كان الرجلان يكذبان؟

هل تمكن (مرزوق) من التسلل ليلًا بعد أن نام الجميع وقتل (منال) ثم أسرع بعد ذلك بالذهاب إلى (البنك الوطني المتحد) في مدينة (العرين) حيث قامت الكاميرات هناك بتصويره؟

*(سعاد) الطاهية الهادئة الرزينة، لم تكن أبدًا على قائمة المشتبه بهم، ولكن كلام (مالك) عن المشاجرة التي نشبت بينها وبين (منال) وتهديدها لها بأنها ستجعلها تدفع الثمن، جعلها تمتلك الدافع لارتكاب جريمة القتل.

فلماذا كذبت (سعاد) بخصوص تلك المشاجرة، ولم تأت على ذكرها أبدًا؟

وهل أرادت أن تنتقم من (منال) لتطاولها عليها، ولكونها سببًا في أن يطردها السيد (أمين) من العمل لديه في الفيلا، فقتلتها؟

وهل كانت تدعي المرض والتوعك كي تبتعد عن دائرة البحث والاستجواب؟

*(حنان) تمتلك أكثر من دافع لقتل (منال) ولكن طوال الوقت خلت لائحة الاتهام من اسمها، فهي مصابة بفوبيا رؤية الدم، ومجرد رؤيتها لقطرةٍ واحدة من الدماء تصيبها بالهلع وتجعلها تفقد الوعي، فكيف لها إذًا أن تطعن امرأة أخرى بسكينٍ في عنقها؟

هكذا فكرت (نورا) في جميع الاحتمالات، ولم يتبق لها سوى تصور واحد فقط، وهو أن الجريمة قد ارتكبت بدافع السرقة، أي أن شخصًا من خارج دائرة أهل الفيلا قد تسلل إلى الداخل لهدفٍ ما، وكان حظ (منال) عاثرًا بأن وجدها في طريقه، فقتلها.

ولكن كيف له الحصول على آلة فتح الأظرف المستخدمة في الطعن والخاصة بالسيد (أمين)؟

وكيف له أن يقتحم مداخل الفيلا دون أن يساعده أحد من أهلها؟

وما هو ذلك الشيء الذي سرقه ويخفي أمره الجميع؟

وإن لم يكن هدفه السرقة، فما الذي كان يريده من الداخل؟

وبالطبع لم تصل إلى أي نتيجة من كثرة التفكير سوى المزيد من علامات الاستفهام التي أخذت تتراقص أمامها بعنادٍ كطفلٍ عنيد يخرج لسانه كي يغيظ أصدقاءه في المدرسة.

ووصلت إلى العاصمة وهي تشكو من صداعٍ خانق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما أن التقت ب. (أمير) في الممر الطويل الذي يقع جناح العناية المركزة في آخره حتى شعرت بأنها ترغب بشدة في ضمه إليها، فالرجل الجليدي الملامح قد ظهر عليه كل ما في الدنيا من أحزان، وقد صدمها أن ترى (حارس جهنم) بهذه الحالة وهي التي كانت تظنه خُلق من فولاذ.

صافحته بحرارة، ثم ظلت واقفة أمامه لا تعرف ما الذي يجب أن تقوله، حتى بادرها هو معتذرًا:

- لا بد أنني سببت لكِ الكثير من القلق، ولكنني لم أتعمد ذلك بالطبع، فهاتفي فرغت منه الطاقة ومنذ وصلت إلى هنا وأنا بهذه الحالة.

فتجاهلت (نورا) تلك الجملة، وسألته مباشرة:

- كيف حال والدك؟

وجاءتها إجابته قصيرة مختصرة وصادمة:

- سيموت.

ᔓ ᔓ ᔓ ᔓ ᔓ

وأمضت (نورا) بقية النهار في المستشفى مع (أمير) الذي كان يبدو في غاية الضعف بالرغم من محاولاته المستميتة في أن يخفي ذلك ليحتفظ أمام جميع من جاءوا لزيارته بصورته المعروفة عنه.

وفي المساء غادرت إلى مدينتها تاركة خلفها رجلًا على وشك أن يفقد آخر ما تبقى له في هذه الحياة.

وطوال طريق العودة تعمدت (نورا) أن تفكر في لا شيء، فهي أرادت أن يكون ذهنها خاليًا من أية أفكار تثنيها عن قرارها الذي اتخذته بخصوص التحقيق في عملية (خادمة القصر).

فهي ستستفيد من نصيحة (أمير) لها والتي نصحها بها قبل لحظاتٍ من رحيلها.

ᔓ ᔓ ᔓ ᔓ ᔓ

- عندما تتعقد خيوط قضيةٍ ما وتجدين نفسكِ حائرة بين مفترق طرق، كل واحدٍ منهم لا يؤدي إلى أي مكان، حينها يجب أن تعودي إلى نقطة البداية، وتبدئي البحث من الجديد.

تلك كانت نصيحة (أمير) لها، والتي ستنفذها الآن بحذافيرها بعد أن حصلت على قسطٍ من الراحة بالأمس، وقررت أن تبدأ يومها مبكرًا بالرغم من أنه يوم عطلة رسمية بزيارة فيلا السيد (أمين).

وبعد أن طرقت الباب، فتحت لها (سعاد) فنظرت إليها (نورا) نظرة باردة قبل أن تسألها:

- هل ما زالت السيدة (حنان) نائمة؟

فأجابت (سعاد) وهي تشعر بأنها ستكون في موقفٍ سيئٍ بعد قليل:

- نعم يا سيدتي.

فأبعدتها (نورا) برفقٍ من طريقها، وتقدمت إلى داخل الفيلا وهي تقول:

- حسنًا، أريد أن أتحدث معكِ لبعض الوقت.

ثم أردفت بعد أن أمعنت النظر مباشرة في عينيها:

- وبالطبع سيكون حديثًا مختلفًا عما سبقه لأنه سيحدد الكثير من الأمور، ومن وجهة نظري الشخصية أرى أنكِ لن تستفيدي أي شيءٍ بحماية الآخرين، فمن الأولى أن تقومي بحماية نفسكِ أولًا بقول الحقيقة كاملة، فأنا على وشك أن أتهمكِ بقتل (منال).

وبدأ الحوار الساخن بعد أن جلست (نورا) على الأريكة المقابلة للسلم الصاعد إلى الطابق

الأعلى إذ قالت ل. (سعاد) التي جلست بجوارها، وجسدها بأكمله يرتجف:

- سأعتبر أن اليوم هو الصباح التالي لليلة ارتكاب الجريمة، وسأعتبر أن هذا هو لقاءنا الأول، لذا أرجو أن تكوني على يقينٍ من أن وجود السيد (أمين) وابنه خلف القضبان قد غير الكثير من معطيات القضية، فهما سيفعلان المستحيل للإيقاع بشخصٍ آخر كي يلقى مصيرًا محتومًا على حبل المشنقة، وأقرب الناس ليكون هذا الشخص هو أنتِ، فأخبريني بالتفصيل الممل كل ما حدث في تلك الليلة الحالكة السواد.

وتركت المجال ل. (سعاد) كي تبوح بكل ما عندها من أسرار بعد أن أشعرتها بأنها تواجه موقفًا حرجًا، فقالت وهي على وشك أن تبكي:

- أنا لم أقتلها، أقسم لكِ.

ثم بالفعل انفجرت في البكاء، ولكن (نورا) لم تُحرك ساكنًا، ومنحتها كل الوقت الذي يلزمها كي تتمالك نفسها وتعود للحديث من جديد قائلة:

- كنت في المطبخ أقوم بأعمال التنظيف المعتادة كل ليلة قبل أن أنام، وكنت أعرف من قبل أن (مرزوق) سيقضي الليلة خارج المدينة، وهذا يعني أن السيد (مالك) سيتسلل إلى غرفة (منال) في أي لحظة كما يفعل كثيرًا، وكنت أعرف أيضًا أن السيدة (حنان) لن تترك الأمر يمر مرور الكرام في هذه المرة بالتحديد، فقبل أن تقول لي بصوتٍ مسموع وهي في بهو الفيلا، أنها لن تتناول العشاء الليلة لأنها تشعر بتوعكٍ وأنها ستذهب للنوم مبكرًا، رأيتها تغادر غرفة (منال) خلسة، وعندما تأكدتْ من أنني قد شاهدتها ولمحتْ في عينيّ نظرات الدهشة، أخبرتني بأنها ستضع حدًّا للمهزلة التي تحدث في بيتها بين زوجها وخادمتها، وطلبت مني أن أخبرها إن رأيت السيد (مالك) يدخل غرفة (منال) ثم صعدت إلى الأعلى.

وصمتت (سعاد) قليلًا لتلتقط أنفاسها، فقد كانت تتحدث بسرعةٍ وحماسٍ وصدق كما لاحظت (نورا) ثم بعد برهة عادت لتقول:

- ما صدمني وأصابني بالدهشة أن السيدة (حنان) أخبرتني بأن زوجها قد يطردني من العمل في الفيلا بعد أن طلبت منه (منال) ذلك، وعندما كنت أعمل في المطبخ وأفكر بالأمر، دخلت (منال) وهي تغني بلا مبالاة وكأنها تتعمد أن تستفزني وأنا امرأة لا أجيد لعبة القط والفأر أو اللف والدوران، فسألتها مباشرة عما إذا كانت بالفعل قد طلبت من السيد (مالك) طردي، فابتسمت باستخفافٍ وأخبرتني أنها ستجعله يطرد الجميع لتبقى هي بمفردها هنا في الفيلا.

وفجأة تطورت الأمور بيننا، فقد سببتها وطلبت منها أن تغادر المطبخ فردت لي السباب بسبابٍ أكثر، وعندما حاولت أن تصفعني على وجهي، دفعتها في صدرها فكادت أن تقع وتشابكنا بالأيادي حتى ظهر السيد (مالك) فجأة وفض المشاجرة بيننا، وأخذ (منال) إلى غرفتها وهو معها بالطبع، وهنا حانت لحظة الحسم، فقد دخلت عليهما السيدة (حنان).

وقبل أن تكمل (سعاد) ما تقوله، قاطعتها (نورا) بسؤالٍ مباغت:

- هل قمتِ بتهديد (منال) بالقتل؟

فأسرعت تجيبها نافية:

- لا لم أفعل، فكل ما قلته لها هو أنني سوف أضع حدًّا لكل ما يحدث، وكنت أقصد أنني سأخبر (مرزوق) زوجها بكل شيءٍ صراحة، وهذا كفيل بأن يتسبب لها بكارثة.

فهزت (نورا) رأسها طالبة من (سعاد) أن تعود إلى الحديث، فأكملت:

- جن جنون السيدة (حنان) وأصبح الوضع خطيرًا، فهاتفت السيد (أمين) وطلبت منه أن يأتي على وجه السرعة، وبالفعل عندما وصل تمكن من احتواء الموقف.

وصمتت (سعاد) على أساس أن بهذا قد انتهت مما عندها من معلومات، فبدأت تنهال عليها (نورا) بالأسئلة، وكان أولها:

- وماذا فعل السيد (مالك) بعد ذلك؟

فأجابت:

- يبدو أنه قد صعد إلى الأعلى.

فسألتها:

- بمفرده؟

فأجابت:

- أظن أن زوجته (حنان) كانت معه، فأنا لست على ثقةٍ من ذلك لأنني كنت بالمطبخ.

فسألتها (نورا) مباشرة:

- والسيد (أمين)؟

فأجابت:

- مكث قليلًا مع (منال) في غرفتها، ويبدو أنه هددها بشيءٍ ما، ثم غادر إلى خارج الفيلا، ولم أر أو أسمع أي شيءٍ بعد ذلك، فقد خلدت إلى النوم بعد ليلةٍ مرهقةٍ وقاسية.

فنظرت إليها (نورا) بتفحصٍ قبل أن تسألها:

- ولماذا لم تقولي الحقيقة عندما تحدثت معكِ في المرة الأولى؟

فقالت (سعاد) دون تردد:

- لأن السيد (أمين) طلب مني ذلك، وقال إن إخفاء أمر المشاجرة أفضل للجميع، ورأيت أنه ربما معه حق فلو أن الشرطة علمت بأنني تشاجرت مع امرأةٍ قُتلت، فلا بد أنهم سيُلقون باللوم عليَّ، خاصة أنني امرأة بسيطة لا أعدو مجرد طاهية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن فرغت (نورا) من استجواب (سعاد) التي شعرت بارتياحٍ لأنها قد نجت ولو مؤقتًا من أنياب تلك المحققة التي لا تشي ملامحها الرقيقة أبدًا بالشراسة التي في أعماقها عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل، والآن حان وقت الحديث مع (حنان) التي استيقظت من نومها في الوقت المناسب تمامًا، ومع آخر سؤال طرحته (نورا) على (سعاد).

- مرحبًا يا سيدة (حنان).

هكذا حيتها (نورا) فردت عليها التحية وهي تبتسم، ثم نظرت إلى (سعاد) وقالت بود:

- هل من الممكن أن أحصل على كوبٍ من الشاي الأخضر لو سمحتِ، وأحضري القهوة إلى المحققة (نورا).

وساد الصمت بين السيدتين وكل واحدة منهما تتأهب للأخرى، ف. (حنان) أخذت تُعدل من وضع خصلات شعرها الكستنائي الطويل المموج وهي ترتب كيف ستكون إجابتها على أسئلة (نورا) التي وضعت ساقًا على ساق، وقطبت جبينها وهي تقول:

- سيدة (حنان) لقد أصبحت القضية على المحك، والوقت لم يعد في صالح أحد، ولا توجد فرصة أخرى يمكن أن نمنحها لمن يتلاعب بنا، لذا أنا هنا الآن كي أسمع منكِ تفاصيل ما حدث ليلة مقتل (منال).

وبالفعل روت لها نفس ما قالته (سعاد) منذ قليل، وما كان قد رواه (مالك) قبلهما، ولكن بدون الكثير من التفاصيل، وأرجعت (نورا) هذا الأمر إلى شخصية (حنان) الهادئة والمتحفظة، فسألتها:

- سيدة (حنان) ماذا كنتِ تفعلين في غرفة المجني عليها ليلة مقتلها؟

فأجابتها على الفور بتلقائية:

- كنت أضع جهاز تنصت كي يصبح لديَّ دليل قطعي على خيانة (مالك) فحينها لن يتهمني أحد بأنني أختلق القصة، وسيكون موقفي أقوى بكثير إذا وصلت الأمور إلى المحكمة.

فسألتها (نورا) وهي تتعمد أن تكون محددة وواضحة في طريقة صياغتها للسؤال:

- أين قضى زوجك ليلته بعد أن انتهت المشاجرة؟

وبنفس التلقائية أجابتها (حنان):

- لقد صعد إلى الغرفة وكان مخمورًا، وبصراحة لم أطق وجودي معه وهو يحاول أن يطيب خاطري، فطلبت منه أن أكون بمفردي لبعض الوقت، وغادرت غرفة نومنا إلى الشرفة ومعي جهاز الحاسوب الخاص بي، وبقيت بها حتى تباشير الصباح، أجري حوارًا بالصوت والصورة على برنامج (سكايب) مع ثلاثة من العلماء المقيمين في (أمريكا) الذين يشرفون على رسالة الدكتوراه الخاصة بي، وربما غفوت على الأريكة لساعةٍ أو أكثر.

فسألتها مرة أخرى:

- وماذا بالنسبة للسيد (أمين)؟

فأجابتها قائلة:

- لست على يقين من الأمر، ولكنني شعرت به وهو يغادر الفيلا ربما ليستنشق بعض الهواء، فهو كان في غاية التوتر.

وأنهت (نورا) اللقاء بأن قالت:

- حسنًا، أريد الحصول على جهاز التسجيل الذي تقولين أنكِ قد خبأته في غرفة (منال).

وأصبح لدى (حنان) حجة غيابٍ قاطعة طوال الوقت المتوقع لارتكاب الجريمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-2-

أصبحت (نورا) تمتلك تصورًا كاملًا عما حدث في فيلا السيد (أمين) ليلة مقتل (منال) كما أن بحوزتها في هذه اللحظة جهازًا ربما يكون عليه تسجيل صوتي للساعات الثلاث التي حدثت فيهن الجريمة.

وهي الآن في طريقها إلى مكتب التحقيقات الجنائية لتلتقي ب. (مرزوق) المحتجز بتهمة التعدي بالضرب على (مالك).

وما أن وصلت إلى مكتبها حتى أصيبت بالدهشة عندما علمت بأن رجال الشرطة قد أطلقوا سراح (مرزوق) بعد أن تنازل (مالك) عن حقه في مقاضاته مبررًا ذلك بأنه يُقدر الموقف الصعب الذي يمر به بعد فقدانه لزوجته بهذه الطريقة البشعة.

وعلى الفور طلبت من مساعدها في المكتب سرعة الاتصال بالرجل ومعرفة مكانه وإحضاره إلى هنا للحديث معه.

ثم أغلقت على نفسها الباب، وأخرجت جهاز التسجيل الذي تقول (حنان) أنها قد دسته خلسة داخل غرفة (منال) وهي تمني نفسها الحصول على الكثير من المعلومات منه.

وكان أول ما استمعت إليه هو الكثير من السباب الذي أخذت (منال) تكيله وهي بمفردها في الغرفة للجميع، بداية من (سعاد) وحتى السيد (أمين) مرورًا ب. (مالك) و(حنان) وحتى زوجها (مرزوق) الذي صادف أنه اتصل بها هاتفيًّا في نفس هذه اللحظة التي تستشيط فيها غضبًا، فأمطرته بوابلٍ من السباب دون أن تمنحه أية فرصة للحديث ثم أغلقت الخط في وجهه.

وبعد ذلك بعدة دقائق عم الهدوء في المكان، فلم تصدر أية أصوات سوى صوت وقع خطوات تتحرك وصوت خزانة تُفتح ثم أخيرًا صوت باب يتم إغلاقه، فخمنت (نورا) أنه ربما باب الحمام أو قد يكون باب الغرفة، فقد ساد الصمت التام لأكثر من ربع ساعة تقريبًا حتى عادت أصوات الأقدام مرة أخرى وتبعها صوت (منال) وهي تسعل بشدةٍ وعنف، فيبدو أنها دخلت الحمام وتحممت أو ربما غادرت الغرفة لبعض الوقت ثم رجعت إليها، وتكرر صوت السعال الشديد مرة أخرى قبل أن تسمع (نورا) آخر جملة قالتها (منال) قبل أن تزهق روحها:

- أنا أريد النوم بعمقٍ كي أنسى ما فعله كل هؤلاء السفلة.

ويبدو أنها نامت بالفعل ولكن بأعمق مما تمنت، ذلك النوم الذي يستمر إلى الأبد.

وبعد دقائق أصبح الصمت خانقًا، لا يشقه إلا عدة مرات من السعال الذي كان واضحًا.

وأخيرًا اختفى حتى صوت السعال ولم تعد (نورا) تسمع أي شيءٍ عبر جهاز التسجيل، فخمنت أن (منال) قد استسلمت إلى النوم أخيرًا واستمر الحال لأكثر من ثلاث ساعات تقريبًا حتى صدر صوت خافت جدًّا، لم يكن من السهل تحديد مصدره.

فهل هو صوت بابٍ يفتحه شخص ما بمنتهى الحرص والهدوء؟

أم هو صوت نسمات الهواء تحرك الستائر؟

أم صوت (منال) تتقلب في سريرها؟

لم تتمكن (نورا) أبدًا من معرفة كُنه هذا الصوت، وفكرت في أنه لا بد من اللجوء إلى التقنيات الحديثة التي يستخدمها رجال بحث الأدلة الجنائية، فهي على يقينٍ من أن هذا الصوت قد حدث في نفس لحظة ارتكاب الجريمة.

وبعد هذا الصوت بخمس ثوانٍ انتهى تسجيل الجهاز، فيبدو أن مساحته لم تتسع للباقي من الأحداث التي حدثت في الغرفة، وأصبحت على إثرها (منال) جثة هامدة، فشعرت (نورا) بحنقٍ بالغ لمدى سوء الحظ الذي يلازمها خلال عملها على حل تلك القضية، فلو أن جهاز التسجيل استمر للحظاتٍ أخرى، فربما عرفت على الفور شخصية القاتل، وربما لهذا السبب لم تُعر (حنان) ذلك التسجيل أي أهمية، فهو لم يأتِ بجديدٍ من وجهة نظرها.

وبالرغم من أن (نورا) لم تحصل من هذا التسجيل الصوتي على أيٍّ من الإجابات التي تبحث عنها بل زاد من عدد التساؤلات وعلامات الاستفهام المليئة بالغموض، ولكن ربما بعد فحص هذا الشريط بواسطة الخبراء قد تحصل على ما ترغب فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدما غادرت (نورا) مبنى البحث الجنائي، ظلت تفكر طوال الوقت بتلك الحلقة المفقودة في القضية، وفكرت أكثر ب. (أمير) وكيف أن الرجل فقد الكثير من بريقه خلال الأشهر الماضية حتى وصل إلى أسوأ حالاته حين وجد نفسه مرة أخرى وجهًا إلى وجه مع الموت الذي يحاول أن يختطف منه آخر من تبقى له ممن يحبهم.

وبدلًا من العودة إلى بيتها لتحصل على وجبةٍ دافئة وبعض الهدوء والسكينة حتى تتفرغ في المساء للحديث مع (مرزوق) وجدت نفسها مدفوعة لا إراديًّا للذهاب إلى مكانٍ غريب.

مكان لم تتوقع هي نفسها أن تذهب إليه أبدًا مرة أخرى.

إنها تقف الآن أمام الشقة التي يسكن بها (أمير الوكيل) وتفعل ذلك دون سببٍ واضح، وبعد ترددٍ طويل فتحت باب الشقة بنفس الطريقة التي فعلت بها الأمر في المرة السابقة.

ودلفت إلى الصالة، وتوجهت مباشرة إلى الأريكة التي تواجه التلفاز وجلست عليها للحظاتٍ وهي تتطلع في المكان من حولها، وبعدها توجهت ناحية غرفة النوم، وبلا مقدمات ألقت بنفسها على السرير ذو الشرشف الأزرق النظيف والمرتب بعناية ثم تمددت عليه، وأخذت نفسًا عميقًا، وبعده أغمضت عينيها في محاولةٍ منها كي تبث في أعماقها الكثير من رائحة (حارس جهنم) لعلها تحصل على قوته وثباته، وبصيرته النافذة، وثقته بنفسه التي لا تهتز أبدًا.

ودون أي حسابٍ للوقت، ظلت (نورا) على السرير مسترخية تستعيد كامل ذكرياتها منذ الطفولة وحتى هذه اللحظة كي تعمل على تصفية ذهنها، واستعادة نقاء تفكيرها، وحيادها.

وبعد فترةٍ طالت دون سببٍ واضح، قامت وتوجهت إلى المطبخ وهي تشعر بالجوع، ففتحت الثلاجة، وأعدت لنفسها شطيرة من الجبن، أكلتها على عجل وهي واقفة تفتح أدراج المطبخ وتتفقد محتوياتها، ثم توجهت إلى الحمام وغسلت يديها ووجهها.

وبعد ساعةٍ أخرى غادرت (نورا) شقة (أمير) وهي ممتلئة بشعورٍ غريب لم تتمكن أبدًا من تفسيره إلا أن فمها ظل محتفظًا بابتسامةٍ في غاية الرقة طوال الليل وحتى صباح اليوم التالي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما التقت (نورا) في صباح اليوم التالي ب. (مرزوق) في بيت والده، كانت تريد أن تعرف منه أمرين اثنين لا ثالث لهما، وبمنتهى الصراحة، ودون أن تترك له مجالًا للمراوغة.

أولًا: من الشخص الذي وكله بمهمة العمل في مدينة (العرين) ليلة مقتل زوجته؟

ثانيًا: ما إن كان على علمٍ بأن (منال) تجمعها ب. (مالك) علاقة غير شرعية؟

وبالفعل حصلت منه على ما تريد بل وحصلت على معلومة ثالثة في غاية الأهمية، فعندما وجهت له السؤال الأول ظهر عليه التردد وحاول أن يخبرها بأن الأمر يتعلق بالعمل ولم يحدد لها شخصًا بعينه، ولكن عندما حاصرته وضغطت عليه أخبرها أن السيد (مالك) هو من فعل ذلك، وقد أثارت تلك الإجابة دهشتها ف. (مالك) نفسه قد نفى الأمر قطعيًّا كما أن والده أخبرها من قبل أنه هو من طلب من (مرزوق) الذهاب إلى مدينة (العرين) وهي على يقينٍ من أن (أمين) قال ذلك ليحمي ابنه.

وأما بالنسبة للسؤال الثاني، فلم تحاول (نورا) أبدًا أن تلجأ إلى أية طريقة لتجميله بل ألقته بكل وجعه وألمه في وجه الرجل قائلة:

- هل كنت على علمٍ بما تفعله زوجتك مع (مالك)؟

ولأنه لا يوجد شيء يمكنه أن يكسر الرجل أكثر من طعنه في شرفه، فقد طأطأ (مرزوق) رأسه إلى الأسفل، وأجاب إجابة مغايرة تمامًا للسؤال الذي طرحته عليه (نورا) إلا أنها فهمت مما قاله كل ما ترغب في فهمه:

- لقد كنت أحبها بجنون، وهذا الحب اللا وصف له يجعلكِ تغفرين جميع الأخطاء، وبالرغم من أنني كنت أعيش أسوأ فترات حياتي في الأسابيع الأخيرة إلا أنني تمالكت نفسي كي أستطيع المحافظة على أسرتي الصغيرة، وكل ما كنت أرغب فيه هو مغادرة فيلا السيد (أمين) وشركته، وقد أخبرتكِ أن (منال) رفضت ذلك بشدة.

وقبل أن تنهي لقاءها معه، طرأ في ذهنها سؤال مفاجئ، سألته وهي تقف على باب الشقة المتواضعة كي تغادرها:

- هل تعرف شخصًا يُدعى (سعد وديع)؟

وهنا تغيرت في لحظة كل ملامح (مرزوق) حتى أنه اضطر إلى أن يبتلع ريقه كي يتمكن من تمالك نفسه في جزءٍ من الثانية كان كفيلًا بأن تلاحظه (نورا) الخبيرة بلغة الجسد، وقال:

- نعم، لقد سمعت الاسم من السيد (أمين) أكثر من مرة، وأظن أنه منافسًا له في العمل.

فهزت (نورا) رأسها بالموافقة وتقدمت خطوتين ناحية السلم المقابل لباب الشقة قبل أن تستدير ناحية (مرزوق) مرة أخرى، وتسأله وهي تنظر مباشرة في عينيه:

- هل تعرف أن (منال) قد ذهبت لزيارته قبل شهر تقريبًا من مقتلها؟

تلعثم (مرزوق) قبل أن يقول:

- نعم، فأنا طلبت منها أن تفعل ذلك كي تطلب منه أن يجد لي عملًا لديه في شركته، فحينها

سنتمكن من بدء حياةٍ جديدة، ونسيان الماضي بأكمله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لماذا يكذب الجميع في هذه القضية؟

ولماذا يظنون أن رجال الشرطة بالسذاجة التي تجعلهم يصدقون التفاهات التي تُلقى على مسامعهم؟

(مرزوق) بلا شك يكذب بخصوص ذهاب زوجته إلى شركة السيد (سعد وديع) ولكن أين الحقيقة في هذا الموضوع؟

فشريط الفيديو الذي حصلت عليه لا يوجد به تسجيل صوتي للحوار الذي دار بين (منال) و(سعد) ولكنه يظهرها بكل وضوح وهي في مكتبه كي تُريه بعض الأوراق وتأخذ منه مالًا في المقابل.

تلك الزاوية من القضية رمادية اللون وغير واضحة، وقد تحمل خلفها شيئًا ما لا تفهمه هي.

هكذا فكرت (نورا) بعد أن غادرت منزل (مرزوق) وفكرت أيضًا في أمرٍ غريب:

- لماذا لا يكون السيد (سعد وديع) هو من كذب عليها بأن أخبرها أن (منال) منحته أوراقًا خاصة بشركة السيد (أمين)؟

فربما فعل ذلك بعد أن علم بأمر الجريمة كي يُورط غريمه القديم في القضية وبهذا يكون قد تخلص منه إلى الأبد.

ربما.

ولكن الغريب في الأمر هو أن (نورا) للمرة الأولى منذ بدأت العمل على التحقيق في عملية (خادمة القصر) تشعر بأن (مرزوق) ربما يكون هو من قتل زوجته.

وأخذ هذا الشعور يتنامى داخلها بشدة طوال الطريق إلى مكتبها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- كيف حال والدك؟

لم يعرف بماذا يمكن أن يجيب (أمير) على سؤال (نورا) عبر الهاتف سوى بعبارة:

- لا أعلم.

ولم تعرف هي أيضًا ماذا يجب أن تقول، فصمتت للحظاتٍ قبل أن تسأله:

- ومتى تخطط للعودة إلى هنا؟

فأجابها بنفس الجملة:

- لا أعلم.

فتمنت له حظًّا جيدًا، وشفاءً عاجلًا لوالده، وأنهت المكالمة.

وذهبت إلى النوم وهي لا تفكر إلا بشيءٍ واحدٍ فقط وهو السبب الذي جعلها تذهب إلى منزل (أمير) اليوم، وما هو تفسير ذلك الشعور الذي لا يزال ينتابها منذ أن غادرت المنزل وحتى هذه اللحظة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الصباح التالي كانت الصفحة الأولى لجميع الجرائد المحلية التي تصدر بالمدينة، تنشر صورة كبيرة للسيد (أمين) باعتباره الرجل الذي قتل خادمته، واجتهدت كل جريدة في نشر الدافع خلف تلك الجريمة، وقد صدم ذلك الأمر (نورا) وجعلها تستشيط غضبًا، وخاصة بعد أن عرفت بأن الصحفية (ريم الحكيم) هي أول من سربت الخبر، فهي صاحبة السبق الصحفي الذي سيضر لا محالة بسير التحقيقات في تلك القضية من وجهة نظر (نورا) التي توعدت أن تجعل تلك المدعوة (ريم) تدفع ثمن أفعالها السخيفة تلك غاليًا.

ولكن يبدو أن ذلك الحدث الذي أثار غضب (نورا) قد صب في مصلحتها تمامًا بعد قليل، فقد دخل عليها أحد رجال الشرطة وأخبرها أن رجلًا في الخارج يصر على رؤيتها، ويقول أن الأمر في غاية الأهمية.

وبالفعل ذهبت (نورا) لتلتقي بالرجل في مكتب الاستقبال بالطابق الأرضي من مبنى البحث الجنائي، وبعد أن رحبت به، وقبل أن تسأله عن سبب حضوره إلى هنا، بدأ هو في الكلام بانفعالٍ شديدٍ وحماس:

- أيتها المحققة، أقسم لكِ أن السيد (أمين) لم يرتكب تلك الجريمة كما يقول هؤلاء الحمقى في الصحف.

ثم بدأ يشرح لها ما يعنيه بتلك الجملة:

- أنا أمتلك حانة في نفس الحي الذي يسكن فيه السيد (أمين) وفي تلك الليلة التي قُتلت فيها الخادمة حضر الرجل إلى حانتي في الساعة الواحدة والنصف صباحًا تقريبًا، وكان يبدو عليه الإحباط الشديد، فتركت عملي وذهبت للحديث معه، فأخبرني بأنه يواجه بعض المشاكل العائلية، وكاد الرجل أن يبكي، فتعاطفت معه وظللت أحاول الترفيه عنه، ومكثنا نتحدث سويًّا بعد أن انضمت إلينا زوجتي لفترةٍ طويلة حتى غادر هو في الساعة الخامسة فجرًا أو بعد ذلك بقليل، وفي الصباح التالي علمنا بأمر جريمة القتل، فلذا أجزم لكِ يا سيدتي أنه لم يقتلها أبدًا، فأنا أعرف السيد (أمين) منذ سنواتٍ طويلة، ويمكنكِ أن تتأكدي من صحة كلامي إن راجعتِ كاميرات المراقبة في الحانة.

وغادر الرجل بعد أن منح (نورا) دليلًا مؤكدًا على براءة (أمين) الذي أقدم على ذلك الاعتراف بالقتل كي ينقذ ابنه من حبل المشنقة.

وبهذا نقصت قائمة المشتبه بهم فردًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- سنخلي سبيل السيد (أمين).

هكذا قالت (نورا) للشرطي الذي كان يسير بجوارها وهي في طريقها للحديث مع (مالك) الذي بدت على ملامحه الكثير من علامات اليأس والانهيار حتى أنه لم يهتم أبدًا لوجود (نورا) في

الغرفة المحتجز بها بل حتى لم يكلف نفسه عناء النظر إليها أو الرد على تحيتها له، فظلت هي واقفة أمامه في منتصف الغرفة، ثم قالت له:

- لقد أطلقنا سراح والدك.

وأيضًا لم يُعرها أي اهتمام، وظل كما هو على حاله، فقالت له:

- يبدو أنه كان يريد أن يبرئ ساحتك باعترافه.

وكالمرتين السابقتين لم يجبها، وكأنها بالأساس ليست متواجدة بالغرفة، وبعد لحظاتٍ مد يده اليسرى وتناول كوبًا من الماء ممتلئًا حتى نصفه ثم تجرعه على دفعةٍ واحدة.

وفي تلك اللحظة بالذات برقت فكرة غريبة في عقل (نورا) فاقتربت أكثر من (مالك) ثم سألته بحسمٍ وبنبراتٍ حادة:

- سيد (مالك) هل أنت أعسر؟

أقصد هل تستخدم يدك اليسرى دائمًا؟

وكانت إجابة الرجل عبارة عن كلمةٍ واحدةٍ فقط:

- نعم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مكتب الطبيب الشرعي جلست (نورا) تستمع إلى ما يقوله باهتمامٍ بالغ، وعلى ملامحها الكثير من الدهشة:

- لا يمكن أبدًا لشخصٍ أعسر أن يرتكب مثل تلك الجريمة، فالضحية مصابة بجرحٍ قطعي في العنق من الجهة اليسرى، وهذا يتطلب أن يطعنها رجل بيده اليمنى.

وقام الرجل من على مكتبه وقد قبض بيده اليمنى على قلمٍ رصاص كان موضوعًا أمامه وكأنه سكين، ثم اقترب من (نورا) ومثل أنه يطعنها في عنقها، وقال:

- هكذا تم الأمر.

ثم نقل القلم إلى قبضته اليسرى، وكرر المحاولة مرة أخرى، وهو يقول:

- أما إن فعلها رجل يستخدم يده اليسرى، فلن يكون الجرح في ذات المكان، وحتى إن حاول استخدام يده اليمنى لتضليلنا فلن يكون الجرح بذات الشكل ونفس النسق الذي هو عليه.

هزت (نورا) رأسها بأنها استوعبت كل ما قاله الرجل، وهي تعي أن هذا الأمر لا يعني بالنسبة لها سوى أمرًا واحدًا فقط، وهو براءة (مالك) من جريمة قتل (منال).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مكتبها جلست (نورا) تراجع جميع أوراق القضية من بدايتها بعد أن نثرت الكثير من الصور والتقارير أمامها، وبالرغم من عدم استيعابها لما صارت إليه الأمور بعد أن أصبح (أمين) وابنه خارج قائمة الاتهام تمامًا، وانزعاجها من ذلك إلا أنها في الحقيقة كانت معجبة جدًّا بنفسها، وفي غاية الرضا عما تمكنت من الوصول إليه بمفردها، فدقة ملاحظتها أنقذت رجلًا بريئًا من حبل

المشنقة حتى وإن كان هذا الرجل صاحب أحقر أخلاق في العالم إلا أن واقع الأمر يقول أنه لم يقم بارتكاب جريمة قتلٍ مع سبق الإصرار والترصد.

وللمرة الأولى منذ توليها أمر التحقيق في عملية (خادمة القصر) تشعر أنها في غاية القوة والثقة بالنفس وتمتلك طاقة خارقة وقدرة لم تعهدها من قبل، فهل زيارتها لبيت (أمير) وتلك الأنفاس التي تنفستها هناك لها علاقة بذلك الشعور؟

إنها بحق لا تعلم، ولكن السعادة تملؤها وهذا هو كل ما يهمها في تلك اللحظة، وها هي تعود لتحدث نفسها قائلة:

- والآن (أمين) لم يقتل (منال) و(مالك) أيضًا لم يقتلها.

فمن هو ذلك القاتل الخفي؟

ثم ضحكت ضحكة رقيقة، وقالت بصوتٍ مسموع:

- تلك القضية وكأنها رواية بوليسية معقدة، وفي جميع الروايات البوليسية يتعمد المؤلف أن يكون القاتل هو الشخص الوحيد الذي لا يتوقع أحد أنه ارتكب الجريمة.

ثم صمتت للحظاتٍ قبل أن تردف قائلة كلمة واحدة فقط:

- (سعاد).

وعادت لتضحك مرة أخرى وكأنها طفلة صغيرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مات اللواء (توفيق الوكيل) والد المقدم (أمير) في فجر اليوم التالي.

سقط الخبر المتوقع على (نورا) كأنه قنبلة، وكأنها لم تكن تعرف أنه مريض، وأن الأطباء أخبروا الجميع بتدهور حالته إلى أسوأ وضعٍ ممكن.

ولكن بالرغم من كل شيءٍ يبقى الموت هو الموت، يبقى مؤلمًا صادمًا مثيرًا للدهشة، ويُفقد الجميع اتزانهم مهما استعدوا له.

ارتدت المحققة الشابة فستانًا أسود اللون أنيقًا، وتركت خلفها كل شيء؛ أمها وبيتها وعملها وأسرعت إلى العاصمة إلى حيث يوجد (حارس جهنم) وحيدًا.

ولكنها عندما وصلت إلى المستشفى لم تجده وحيدًا ظاهريًّا، فالعشرات وربما المئات من رجال الشرطة كانوا يلتفون من حوله ويملأون جميع زوايا المستشفى وطوابقها، وعلى رأسهم بالطبع اللواء (سعد الهاشمي) الأب الروحي ل (أمير) والصديق القديم لوالده.

وشعرت (نورا) بالراحة لأنها تمكنت من الوصول إلى المستشفى قبل نقل الجثمان وبداية طقوس العزاء.

وظل نظرها مركزًا على (أمير) الذي ظهر متماسكًا إلى أبعد الحدود وبدت ملامحه الجليدية في غاية الصلابة، وإن ظل طوال الوقت يرتدي نظارة شمسية تخفي عينيه وما تحمله من دموعٍ تقف على حافتها، تنتظر فقط أن يكون بمفرده كي تقفز باندفاعٍ إلى الخارج بغزارة.

وهذا ما حدث بالفعل ما أن وصل إلى بيت والده وأغلق الباب من خلفه.

بكى (أمير الوكيل).

بكى (حارس جهنم).

بكى كـطفلٍ تائه ليلًا وسط غابة مليئة بالوحوش.

بكى دون توقف لمدة ساعةٍ كاملة، ويبدو أنه لم يكن يبكي والده فقط، فهو الآن يبكي والده وأمه، كما يبكي ابنته وزوجته، وربما يبكي نفسه أيضًا.

وظل على هذه الحالة وهو يعرف أنه لا يمتلك الكثير من الوقت حتى يحين العزاء الذي سيكون مزدحمًا جدًّا إلا أنه لم يكن بحق يمتلك الطاقة التي تمكنه من النهوض كي يغسل وجهه ويبدل ملابسه.

وبينما هو على هذه الحالة رافعًا الراية البيضاء في أعماقه ومعلنًا استسلامه التام للحياة، سمع رنين جرس الباب.

فأجبر نفسه على التماسك وتناول منديلًا ورقيًّا مسح به وجهه، ثم وضع نظارته الشمسية على عينيه وتوجه ليفتح الباب، وهو على يقينٍ من أن (نورا) هي من تقف خلفه.

وكالعادة دائمًا ما يكون حدسه في محله.

إنها (نورا) التي قالت على الفور:

- عذرًا، فأنا لم أجد مكانًا آخر يمكنني الذهاب إليه حتى يحين موعد العزاء.

وبالطبع كانت حجتها واهية، فهي هنا لأنها ترغب في البقاء بجوار (أمير) الذي ظل صامتًا وهي تتقدم إلى الداخل بخطواتٍ بطيئة ثم التفتت ناحيته ووقفت أمامه بعد أن أغلق الباب، وبتلقائيةٍ غريبة مدت يديها لترفع النظارة الشمسية السوداء من على وجهه، ثم قالت وهي تنظر مباشرة في عينيه العسليتين:

- لماذا لا تريد أن تعترف أبدًا أنك مجرد بشر؟

وفي تلك اللحظة بالذات لمحت (نورا) في عيني (أمير) كل حزن العالم بأسره، وأصبحت على يقينٍ من أنه سيبكي الآن، وفكرت في أنه إن فعل ذلك فربما يجب أن تتنازل عن الكثير من مبادئها وتضمه إليها في عناقٍ تمنحه به بعض القوة والتماسك.

إلا أنه أدار وجهه إلى ناحية اليمين، وأخذ نفسًا عميقًا، وقال بنبراتٍ بث فيها كل ما يمكنه من عناد:

- سوف أعد لكِ شيئًا لتأكليه، فلا بد أنكِ جائعة.

وتوجه إلى المطبخ تاركًا إياها تراقبه بدهشةٍ وشفقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمضت (نورا) بقية النهار، وجزءًا من الليل في العزاء الخاص بوالد المقدم (أمير الوكيل) وكان بالفعل عزاءً مهيبًا، حضره الكثير من قيادات وزارة الداخلية والشخصيات العامة في الدولة،

فالفقيد كان رجلًا يشهد له الجميع بدماثة الخلق والتفاني في العمل عندما كان قياديًّا في سلك الشرطة.

ومضى النهار بطيئًا، وبينما الليل ينشر عباءته السوداء رويدًا رويدًا على سماء العالم، كانت (نورا) تقود سيارتها عائدة إلى المدينة التي ولدت ونشأت وكبرت بها، ولم يكن يشغل بالها طوال الطريق سوى أمر واحد فقط، ظلت تفكر فيه بطريقةٍ جنونية.

وكلما حاولت أن تفكر بشيءٍ آخر غيره، تجد نفسها مجبرة على العودة إلى نفس ذلك الأمر لا إراديًّا، فهي لم تكن تفكر في (أمير) وكيف ستكون حالته في هذه الليلة بالذات، ولم تفكر في فك شفرات قضية مقتل (منال) ولم تفكر في أمها التي لا بد أنها قلقة عليها لأنها تأخرت كثيرًا بل ظلت تفكر في تلك المرأة ذات الجمال الأخاذ التي دخلت عزاء السيدات، وعرفتها سيدة كانت تجلس بجوارها على أنها زوجة (أمير) السابقة.

وحتى بعد أن وصلت (نورا) إلى بيتها، وبعد أن عانقت أمها، وتناولت عشاءها، وتحممت، وبدلت ثيابها، ودخلت إلى سريرها، ظلت تفكر في تلك الذهبية الشعر التي كانت في يومٍ من الأيام زوجة (حارس جهنم) وظل فضولها الأنثوي يعمل لفترةٍ طويلة مانعًا إياها من النوم، وهي لا تستطيع مقاومة رغبتها في معرفة قصة حياة (أمير) التي يخفيها عن الجميع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مر اليومان التاليان دون أحداثٍ تُذكر، ف. (أمين) و(مالك) قد عادا إلى حياتهما العادية بعد أن أخلى مكتب التحقيقات الجنائية سبيلهما و(أمير) لا يزال في العاصمة في حالة حدادٍ على والده، ومن المتوقع أن يعود في صباح الغد إلى المدينة لمباشرة عمله، وبالنسبة إلى (نورا) فقد كانت تدرس ملف الجريمة للمرة الألف دون أن تعثر على أية ثغرة تمكنها من العبور إلى معرفة الحقيقة، وأصبح كل رعبها أن تُغلق تلك القضية دون معرفة من هو الشخص الذي قتل (منال).

وأخيرًا في صباح هذا اليوم، قررت أن تفعل أمرًا مجنونًا.

ستعود مرة أخرى إلى مدينة (العرين) لتضيق الخناق على (سراج) الصديق الذي قضى عنده (مرزوق) ليلة ارتكاب الجريمة، فلا بد من حسم تلك المسألة بالذات حتى تتفرغ ل. (سعاد) فتلك المرأة ليست أبدًا بالسهلة ولا بد أنها لا تزال تحتفظ بالعديد من الأسرار.

أرادت (نورا) من تلك الرحلة أن تحصل فترة من الوقت لتقضيها بمفردها في القيادة، فذلك الأمر سيكون كفيلًا بتصفية ذهنها ومنحها فرصة ملائمة للتفكير بهدوءٍ وترتيب الأفكار المتزاحمة التي تظل تقفز داخل عقلها.

وكل ما كانت ترغب به في هذه اللحظة هو كوب من القهوة الساخنة وشطيرة طازجة بعد أن غادرت بيتها مبكرًا جدًّا، فالطريق طويل ومرهق، وانتظرت لأكثر من ساعة حتى وصلت لأقرب محطة بنزين وهناك تركت العامل يملأ سيارتها بالوقود بينما توجهت هي إلى المتجر الملحق بمحطة البنزين كي تحصل على القهوة وشطيرة جبن، وأضافت إلى ذلك كله قطعة من الكعك أيضًا.

وبينما هي تقف أمام الشاب لتدفع ثمن ما حصلت عليه، تسمرت في مكانها لبرهة وهي تمد إليه

يدها بالنقود حتى أنه نظر إليها بارتيابٍ، وقال:

- سيدتي، هل أنتِ بخير؟

ولم تجبه (نورا) وظلت تنظر إلى لا شيء دون أن تُحرك ساكنًا وكأنها تمثال من الرخام، وفجأة حولت عينيها إلى الشاب، وقالت له بنبراتٍ حاسمة:

- هل تمتلكون كاميرات للمراقبة هنا في المتجر.

فتردد الرجل قبل أن يهز رأسه بالموافقة، وتراجع خطوة إلى الخلف ومد يده إلى الأسفل ربما ليتناول شيئًا يدافع به عن نفسه بعد أن توقع الأسوأ من (نورا) التي قالت له:

- وفي الخارج أيضًا، هل توجد كاميرات مراقبة عند ماكينات الوقود؟

وهنا شهر الشاب في وجهها عصًا حديدية، وقال صارخًا:

- سألقنكِ درسًا قاسيًا إن لم تدفعي ثمن القهوة والشطيرة والوقود وترحلي على الفور.

فابتسمت له، وقالت وهي تترك النقود:

- أشكرك بشدة.

وغادرت مسرعة إلى سيارتها، وانطلقت ولكن ليس في اتجاه مدينة (العرين) ولكن في الاتجاه المعاكس إلى مبنى التحقيقات الجنائية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وما أن وصلت إلى مكتبها حتى اجتمعت مع جميع الضباط المتواجدين هناك، ووجهت لهم أمرًا واحدًا فقط.

المرور على جميع محطات البنزين التي تتواجد في الطريق من هذه المدينة وحتى مدينة (العرين) والحصول على كافة أشرطة المراقبة هناك سواء التي داخل المتاجر الملحقة بالمحطة أو التي فوق ماكينات الوقود.

ومنحتهم أوصاف سيارة السيد (أمين) ورقمها، وكذلك صورة شخصية لـ (مرزوق).

كانت الفكرة التي طرأت على ذهنها هي أن المسافة بين المدينتين في حدود الـ 390 كيلو متر ذهابًا فقط ومثلهم إيابًا، وهذا سيتطلب بالطبع تزويد السيارة بالوقود، وإن كان (مرزوق) يكذب، فستكتشف الأمر بمنتهى السهولة، وتعجبت كيف غابت تلك الفكرة عنها منذ البداية.

وانطلق رجال الشرطة لتنفيذ ما طلبته منهم (نورا) بعد أن أكدت عليهم جميعًا، أنه لن يعود أحد منهم إلى بيته قبل الحصول على نتائج حاسمة.

وفي المقابل أصدرت أمرًا واضحًا بوضع (مرزوق) تحت الرقابة اللصيقة وألا يغيب عن أعين رجال مكتب التحقيقات الجنائية لأكثر من ثانيةٍ واحدة.

ومن داخلها شعرت بأنها على وشك أن تحسم تلك القضية التي كلما ألقت فيه القبض على شخصٍ، يتضح أنه ليس القاتل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في اليوم التالي عاد (أمير) إلى المدينة.

دخل مبنى البحث الجنائي والجميع يتوجهون إليه ليقدموا له العزاء الحار على فقده لوالده.

بينما توجه هو مباشرة إلى مكتبه بعد أن لاحظ أن وجوه رجال الشرطة، يظهر عليها الإرهاق الشديد والتعب، وما أن دخلت (نورا) المكتب وقبل أن تلقي عليه التحية سألها:

- ماذا فعلتِ برجالي أثناء غيابي؟

فابتسمت برزانةٍ وقالت:

- امنحني أقل من ساعتين، وسأحكي لك كل شيء.

وتركت أمامه ملفًّا به بعض الأوراق الخاصة بأمورٍ روتينية تخص العمل كي ينشغل بها خلال الوقت الذي ستحصل فيه على نتيجة البحث الذي استمر قرابة أربع وعشرين ساعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظلت (نورا) تقفز في مكانها أمام نافذة مكتبها عدة مراتٍ بسعادةٍ كـطفلةٍ أدخلها والدها محلًّا للألعاب، وقال لها: «كل ما هنا لكِ.»

وصاحت بفرحٍ:

- نعم، هكذا يجب أن تسير الأمور، ولا أحد أفضل مني هذا الصباح.

وأسرعت إلى مكتب (أمير) ودخلت بعد أن طرقت الباب مرة واحدة حتى أنها لم تنتظر أن يأذن لها بالدخول.

وتلاقت نظراتهما في تناقضٍ عجيب، عينان تحملان حزن الدنيا بأكمله، وعينان أخريان بهما من السعادة ما يكفي قرية كاملة.

وقال (أمير) على الفور:

- بالتأكيد توصلتِ لحل قضية (خادمة القصر) فلا شيء يجعل ضابط شرطة يشعر بكل تلك السعادة التي تظهر على وجهكِ سوى إغلاق قضيةٍ محيرة.

فجلست على الكرسي المقابل له، وقالت وهي تهز رأسها بثقة:

- بالتأكيد فعلت.

ثم أخذت تحكي له دون أن تخوض في تفاصيلٍ دقيقة ما حدث أثناء غيابه، وكيف أنها ألقت القبض على (مالك) عندما تبين لها أنه يكذب في حجة غيابه التي ساقها، ثم أخبرته بـاعتراف (أمين) بأنه هو من قتل (منال) وذلك كي يحمي ابنه الوحيد مضحيًا بنفسه وسمعته، ولكن الرجل صاحب الحانة كان له رأي مخالف قد أبعد الاتهام عن (أمين)، وكذلك كون (مالك) يستخدم يده اليسرى جعله من المستحيل أن يقوم بطعن (منال) بالنسق الذي حدث، ثم أخبرته بما توصلت إليه اليوم وهو أن (مرزوق) قد كذب بشأن قضائه ليلة ارتكاب الجريمة في مدينة (العرين) وأخبرت (أمير) بأن إحدى كاميرات المراقبة في محطة بنزين صورته وهو يعبئ

السيارة بالوقود، وكان ذلك قرابة الثانية والنصف فجرًا في طريق عودته مرة أخرى إلى فيلا السيد (أمين).

وأصبح التصور النهائي لسيناريو ارتكاب الجريمة هو أن (مرزوق) قد ذهب بالفعل إلى مدينة (العرين) في المساء، ولكنه عاد مرة أخرى قرابة الساعة الثالثة صباحًا ليقتل زوجته متسللًا عبر باب الشرفة دون أن يلحظ أحد وجوده، ثم عاد من جديد إلى البنك حيث سجلت الكاميرات وجوده، ولم يتبقَ سوى مواجهته بكل تلك الحقائق، وأما عن سلاح الجريمة فمن السهل جدًّا بحكم سكنه في الفيلا أن يحصل عليه من مكتب السيد (أمين) تاركًا بصمات الرجل عليه كي تحوم حوله الشبهات، خاصة وأنه هو من تطوع بالذهاب إلى تلك المهمة وهو على يقينٍ من أن (مالك) سيُرحب بالأمر كي يخلو له الجو مع (منال) ولا بد أن (أمين) توقع ذلك، فادعى أنه هو من أرسل (مرزوق) إلى مدينة (العرين).

وبعد أن أنهت (نورا) كلامها، أخذت نفسًا عميقًا لتزيح العبء الذي كانت تحمله طوال الفترة الماضية، في حين ظل (أمير) ينظر إليها نظرات خالية من المعاني، قبل أن يقول:

- عمل جيد أيتها المحققة، وأرجو أن تسرعي في إلقاء القبض على (مرزوق) وأخيرًا أريد كل أوراق القضية مع تقريرٍ نهائي بكل تفاصيلها خلال يومين على الأكثر.

فهزت (نورا) رأسها بالموافقة، وقامت لتغادر مكتب (أمير) وقبل أن تخطو خطوتها الأولى إلى الخارج، فوجئت به يسألها:

- هل ذهبتِ إلى بيتي أثناء غيابي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-3-

مكبلًا بالأصفاد ساق رجال الشرطة (مرزوق) الذي كان في حالةٍ غريبة من الهدوء والسكينة، فهو لم يقاوم، ولم يعترض أو يحاول التملص أو أن يدعي البراءة، وحتى لم ينطق بحرفٍ واحد بل ظل يسير رافعًا رأسه بفخرٍ كمن فاز للتو بميدالية أولمبية.

وظل (أمير) يراقبه عن بُعد وهو في طريقه إلى المكان الذي يتم احتجاز المجرمين فيه، وما أن وصل إليه حتى قال له أحد رجال الشرطة:

- تقدم أيها القاتل الحقير.

فالتفت إليه (مرزوق) ونظر إليه نظراتٍ حادة، ثم قال له:

- هيا أخبرني أنت، ماذا كنت ستفعل بزوجتك التي تخونك مع رجلٍ آخر؟

ثم ضحك بصوتٍ مسموع، وأكمل قائلًا:

- لا بد أنك كنت ستعاتبها برقة.

راقب (أمير) الموقف بأكمله، وغير من خطته التي استعد لها، فبدلًا من الذهاب والحديث مع (مرزوق) وأخذ اعتراف كامل منه حتى يستصدر أمرًا من النائب العام ببدء محاكمته، فضل أن ينتظر حتى تنتهي (نورا) من إعداد التقرير الذي طلبه منها كي يطلع على أوراق القضية كاملة بجميع ملابساتها قبل مواجهة هذا الأسد الجريح.

∞∞∞∞∞

ظلت الجملة التي قالها (مرزوق) للشرطي:

- هيا أخبرني أنت، ماذا كنت ستفعل بزوجتك التي تخونك مع رجلٍ آخر؟

تتردد داخل أعماق (أمير) طوال اليوم، فبالفعل ما الذي سيفعله أي رجلٍ يضعه القدر في ذلك الموقف الغاية في الصعوبة، ولذلك فضل (أمير) أن يؤجل أي تدخل منه في هذه القضية، وأي حديث مع (مرزوق) حتى يختفي من داخله شعور التعاطف الذي يعتريه، فهناك جرائم قتل تتمنى من داخلك لو أن القاتل حاز على فرصةٍ أخرى قبل أن يعلق على حبل المشنقة.

- ولكنه في كل الأحوال أزهق روحًا بغير حق.

هكذا حدث (أمير) نفسه، وهو ينطلق إلى بيته بعد أن أنهى يومه الأول في العمل بعد غيابٍ طويل لم يعتده من قبل، ومن داخله هو لا ينكر أبدًا، أنه كان بحاجةٍ ماسة إلى تلك الفترة كي يعيد ترتيب مشاعره المبعثرة.

وبالفعل لقد اتخذ قرارًا مهمًّا في حياته بعد أن طال تردده، فهو سيبقى هنا في هذه المدينة، ولن يعود إلى العاصمة كما كان يفكر من قبل، والأهم من هذا القرار هو استعادته لشيءٍ خاف كثيرًا أن يكون قد فقده.

لقد استعاد كونه (حارس جهنم) وليس مجرد المقدم (أمير الوكيل) ففي أعماقه طاقة ثلاثة أعاصير، يمكن أن يفرغها في العمل.

لقد نجح في حماية نفسه من الضياع في بئرٍ مظلم، فبالرغم من كل ما مر به من مشاعر سيئة إلا أنه عاد أقوى من ذي قبل وأكثر إصرارًا وعنادًا، فربما موت والده جعله يتمسك بالحياة بكل ما أوتي من دقات قلبٍ ومن أنفاس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأما (نورا) فقد كانت تختال بنفسها كـطاووسٍ جميل، فنجاحها في حل تلك القضية له نكهة خاصة، فكل القضايا السابقة التي عملت عليها كان يتم التوصل إلى حلها بواسطة فريقٍ كامل من رجال مكتب التحقيقات الجنائية، وأما اليوم فهي تقوم بدور البطولة بمفردها.

وقد أمضت اليومين التاليين في إعداد تقريرٍ كاملٍ كما طلب منها (أمير) أن تفعل، وعندما ذهبت لتقدمه إليه، قال لها:

- غدًا سأستجوب (مرزوق) بعد أن أنتهي من قراءة كل هذا.

ثم تناول منها الأوراق، ودون أن يضيع لحظة واحدة، غرق في تفاصيلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعيدًا جدًّا عن المكان الذي تجري فيه هذه الأحداث، أطلق الرائد (خالد) ساقيه للريح في طريقٍ خالٍ من أي معالمٍ للحياة، وكان يلهث بشدة وينظر خلفه بين الحين والآخر ومنعه الظلام من رؤية أي شيءٍ حوله، فهو بالكاد يتلمس طريقه على ضوء النجوم الخافت في تلك الليلة التي لا قمر بها.

(خالد) الذي غادر منذ عدة أشهر للعمل متخفيًا في قضيةٍ كبيرة، رشحه لها (أمير) بنفسه لفرط ثقته به، لم يكن يتوقع أبدًا أن تنتهي به الأمور بهذه الطريقة، فهو لا يعرف إلى أين يذهب في تلك اللحظة وهو على يقينٍ من أنه قد يفقد حياته الآن إن تم الإمساك به بعد أن تسبب خطأ بسيط في كشف هويته، والمشكلة التي يواجهها هي أنه لا يعرف ما الذي يجب أن يفعله لينقذ نفسه سوى مواصلة الركض بلا هدف واضح وسط صحراء لا نهاية لها، وظلام لا كشف له، وذعر لا حدود له.

وجال بخاطره فجأة (حارس جهنم) وتمنى لو أنه كان هنا لينقذ حياته من تلك الأيدي التي ستمزقه إربًا إن طالته، ولكن واقع الأمر يقول أنه الآن بمفرده ويجب أن يساعد نفسه بنفسه، وبينما هو على هذه الحالة، شق صمت الليل الخانق صوت رصاصة ولم تمضِ سوى ثانية واحدة بعد أن سمع (خالد) الصوت حتى شعر بألمٍ رهيبٍ يعتصر جسده، فسقط أرضًا وهو يقول:

- يبدو أنها النهاية، لذا حاول أن تبتسم أيها الرائد.

وبالفعل رسم (خالد) على شفتيه ابتسامة باهتة جدًّا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رسم (أمير) على شفتيه ابتسامة باهتة جدًّا وهو يتمدد في فراشة، ثم تساءل باستغرابٍ وبصوتٍ مسموع:

- ماذا كانت تفعل هذه المجنونة في شقتي؟

فبالطبع هو لم يصدق أبدًا ما أجابته به (نورا) عندما وجه إليها هذا السؤال، فقد أخبرته أنها اضطرت لأن تدخل شقته كي تطمئن عليه بعد أن اختفى لمدة يومين دون سابق إنذار، وأنها لم تمكث أكثر من خمس دقائق.

إلا أنه لم يكترث للأمر طويلًا، وغاص سريعًا في نوبةٍ من النوم العميق بخلاف ما اعتاد عليه كل ليلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على عكس المتعارف عليه، طلب (أمير) من أحد رجال الشرطة أن يحضر (مرزوق) إلى هنا.

إلى مكتبه الخاص.

وقد تعجب الشرطي من ذلك إلا أنه لا يملك إلا أن ينفذ ما أمره به رئيس مكتب البحث الجنائي.

ومرت دقائق بطيئة حتى فُتح باب مكتب (أمير) ودخل منه (مرزوق) في حراسة أربعة من رجال الشرطة، فحياه (أمير) باقتضابٍ وطلب منه الجلوس على الكرسي المقابل له، وفي تلك الأثناء انتشر الرجال الأربعة في أركان الغرفة إلا أن (أمير) نظر إلى أقدمهم رتبة، وقال له بود:

- أرجو أن تفك القيود من يدي السيد (مرزوق) ويمكنكم جميعًا الانصراف بعدها.

وقبل أن يحاول الشرطي أن يقول أي شيءٍ كما بدا على ملامحه، أكمل (أمير) بثقة:

- سيكون كل شيءٍ على ما يرام، فلا تقلق.

وبالفعل فك الشرطي قيود (مرزوق) الذي ظل ينظر إلى (أمير) بعد أن غادر الجميع الغرفة، ولم يطل الصمت لأكثر من لحظاتٍ قبل أن يقول (مرزوق):

- أرجو منك يا سيدي، أن نختصر كل تلك الطقوس التي لا داعي لها، فأنا قد قتلت زوجتي، وأنت تعرف ذلك جيدًا، ولكن صدقني هي من قتلتني أولًا.

لم يسمح له (أمير) بأن يقود هو المحادثة ويتحكم في مقاليد الحوار، لذا سأله مباشرة:

- متى اتخذت القرار بأن تقتل زوجتك؟

فأجابه (مرزوق) وهو يهز كتفيه:

- إن سألتني متى تمنيت أن تقتل زوجتك، فسأجيبك بأنني تمنيت ذلك منذ اللحظة التي عرفت فيها بأنها تخونني مع ذلك التافه الحقير، ولكن قرار أن أقتلها لا أعرف كيف طرأ على ذهني، فأنت لن تصدقني بالطبع إن أخبرتك أنني فكرت فيه باللحظة التي طعنتها فيها في عنقها فقط، وليس قبل ذلك.

ففهم (أمير) على الفور ما يريد أن يصل إليه (مرزوق) فالرجل أصبح على يقينٍ من أنه لن يتمكن من الفرار من تهمة قتل (منال) ولذا فهو يحاول أن يُبعد عنه صفتي الإصرار والترصد لأنهما ظرف مشدد في قانون العقوبات، أي أن جزاءه حينها سيكون الإعدام شنقًا لا محالة، وهو يحاول تفادي ذلك بما يقوله الآن، وقبل أن يتمادى (أمير) في أفكاره، أكمل (مرزوق) قائلًا:

- سيدي أنا أعترف بكل شيء، فأرجوك خذني الآن إلى حبل المشنقة، فأنا لا أريد الحياة لدقيقةٍ

واحدة بعد اليوم، فأنا قد فقدت كل ما كنت أحيا من أجله.

فتجاهل (أمير) تلك الجملة ظاهريًّا وإن كان قد وضعها في اعتباره، وسأل الرجل الذي كان في قمة اليأس:

- أخبرني بالتفصيل، ما الذي حدث في ليلة ارتكاب الجريمة؟

فأجاب (مرزوق) على الفور، وكأنه يريد لهذا اللقاء أن ينتهي سريعًا:

- لقد منحتها الكثير من الفرص، وطلبت منها عدة مرات أن نغادر تلك الفيلا التي كانت سببًا في دمار حياتنا، ولكنها تمادت بجنونٍ ولم تترك لي أي خيارٍ آخر، ولقد غفرت لها بقدر ما لا يمكن لرجلٍ آخر أن يفعل، وفي تلك الليلة المشؤومة، أردت أن أبتعد عن البيت لفترة كي أتمكن من الحصول على الشجاعة اللازمة كي أطلقها وأنهي حياتي معها، وفي حقيقة الأمر كان القرار في غاية الصعوبة، فاتصلت بها هاتفيًّا ما أن وصلت إلى مدينة (العرين) كي أطمئن عليها، ولكنها انهالت عليَّ بالسباب والشتائم مما جعلني أستشيط غضبًا، وحينها فقط اتخذت قراري النهائي.

وصمت (مرزوق) للحظاتٍ كي يبتلع ريقه، فقال (أمير) مستفسرًا:

- بأن تقتلها؟

إلا أنه أجاب نافيًا:

- بأن أطلقها.

وبالفعل حاولت أن أعيد الاتصال بها أكثر من مرة إلا أنها لم تجبني، فحسمت أمري وقررت أن أعود إلى الفيلا، فقراري النهائي كان بأن الشمس لن تشرق على الكون وهذه المرأة لا تزال زوجتي.

وعندما عدت كانت الدماء تغلي في عروقي، ونوبة من الغضب العارم تعتريني، ودخلت إلى غرفتنا من باب الحديقة الخلفي، ووقفت أمامها وهي نائمة، وأخذت أناديها عدة مرات ولكنها تجاهلتني، وظلت على حالها تدعي النوم وهي التي إن تنفس أحد بجوارها تستيقظ، وحتى عندما هززتها من كتفها عاملتني باحتقارٍ وكأنني كلب أنبح ولم تحرك ساكنًا، ولم تكلف نفسها عناء أن تقول لي كلمة واحدة، وفي تلك اللحظة بالذات فكرت أنه يجب ألا تعيش هذه المرأة أكثر من ذلك إلا أنني غادرت الغرفة إلى ردهة الفيلا كي أتمالك أعصابي، وهناك على الطاولة لمحت آلة فتح الأظرف الخاصة بالسيد (أمين) فأمسكت بها بطرف قميصي، وعدت إلى غرفة نومنا مرة أخرى وهددتها بأنني سأقتلها إن لم تقم الآن لتتحدث معي، ولكن عنادها صور لها أنني أضعف من أن أنفذ تهديدي لها، فظلت تدعي النوم، فطعنتها في عنقها، وأسرعت بمغادرة الغرفة وعدت أدراجي إلى مدينة (العرين) بأسرع ما يمكنني.

تلك هي القصة كاملة، فأرجو أن ننتهي من هذا الهراء سريعًا، فإما أن تقوموا بقتلي الآن أو سأقتل أنا نفسي، فأنا لا أرغب في أي محاكمةٍ أبدًا.

ثم انفجر في بكاءٍ حار.

ولم يعد لدى (أمير) ما يقوله للرجل الذي انهار تمامًا، فأمر بأن يعود إلى محبسه مع تشديد الرقابة عليه على مدار الساعة كي لا يقدم على إيذاء نفسه أو الانتحار.

وعندما أصبح بمفرده في مكتبه، بدأ يشعر بوخزٍ في مؤخرة رأسه، يعرف معناه جيدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مر اليومان التاليان بهدوءٍ ودون أية أحداثٍ جديدة، وكان هذا متوقعًا بعد التوتر الشديد الذي كان مخيمًا على كل من عمل في قضية مقتل (منال) وها هي (نورا) تقول بينما تسير بجوار (أمير) في طريقهما إلى مكتب النائب العام لتقديم أوراق إدانة (مرزوق) رسميًّا:

- وأخيرًا سنغلق ملف عملية (خادمة القصر) إلى الأبد.

فعقب (أمير) قائلًا:

- وسنعود إلى الملل والرتابة ومطاردة سارقي حقائب يد السيدات.

فضحكت (نورا) وقالت:

- تلك هي الحياة يا سيدي، لا تسير على وتيرةٍ واحدة، فلا بد من التغيير وإلا فقدنا شغفنا بها.

فهز (أمير) رأسه موافقًا ثم قال وهو ينظر إليها:

- لقد قررت البقاء هنا لمزيدٍ من الوقت، فلن أرحل الشهر القادم مع الحركة العامة لتنقلات رجال الشرطة، وتحدثت مع اللواء (سعد الهاشمي) في هذا الموضوع.

كانت (نورا) على وشك أن تقفز من الفرح وتصرخ كـالأطفال عندما سمعت ما قاله للتو إلا أنها أحكمت السيطرة على مشاعرها بمنتهى القوة، وقالت:

- بعد أن ننتهي من عملنا في مكتب النائب العام، أريد أن أحصل على قدرٍ كافٍ من الراحة، فالعمل على تلك القضية أصابني بالكثير من الإجهاد والتوتر.

لقد تعمدت (نورا) أن تتقمص شخصية (أمير) وتفعل كما يفعل هو كثيرًا وتتجاهل تمامًا الجملة التي قالها، وبالفعل تعجب هو بعد أن توقع منها رد فعلٍ مختلف إلا أنه فهم الرسالة التي أرادت أن توصلها إليه، وقال:

- بالطبع يمكنكِ الحصول على إجازةٍ طويلة إن أردتِ ذلك.

وفي مكتب النائب العام الفخم جدًّا، جلس المحققان أمام الرجل المهيب، ولم تتحدث (نورا) أبدًا طوال اللقاء الذي لم يمتد لأكثر من عشر دقائق بل كان (أمير) هو من قام بتلخيص الأمور بأكملها للرجل الذي قدم له تعازيه الحارة ثم استمع إليه بتركيزٍ شديد.

ولكن (نورا) شعرت باستغرابٍ شديد عندما اختتم (أمير) كلامه قائلًا:

- ولكن سيدي سأطلب منك طلبًا خاصًّا، فهل من الممكن أن نرجئ توجيه التهمة الرسمية إلى (مرزوق) وبدء المحاكمة حتى نهاية الأسبوع؟

كان الطلب غريبًا، ولكن النائب العام لم يناقش الأمر، ولم يسأل عن السبب بل وافق عليه، وشكر (أمير) على مجهوده الذي قام به لحل تلك القضية إلا أنه أشار إلى (نورا) وقال للنائب العام:

- النقيب (نورا) هي من قامت بالعمل بأكمله، هي من تستحق الشكر.

فضحك الرجل المهيب ضحكة رزينة، وقال:

- وربما تستحق ترقية استثنائية أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هناك شيء ما في القضية يثير ريبة (أمير).

هكذا فكرت (نورا) وقد أصابها ذلك بالقلق والتوتر، فسألته مباشرة عن السبب وراء طلبه تأجيل توجيه الاتهام إلى (مرزوق) فحكى لها ما دار بينه وبين الرجل عندما استجوبه، وشرح لها محاولة تملصه من أنه خطط للجريمة وأن كل شيءٍ كان وليد انفعال اللحظة، فهذا الأمر سيجعله يحصل على عقوبةٍ مخففة، وأخيرًا أخبرها بضرورة زيارة فيلا السيد (أمين) لمعرفة الإجابة عن سؤالٍ أخير، وهو كيف وصلت آلة فتح الأظرف إلى البهو في الأسفل؟

وافقته (نورا) على وجهة نظره، واتفقا على الذهاب إلى هناك في الحادية عشرة مساءً بعد تحديد موعد مع الرجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح (أمين) الباب وبجواره وقف (مالك) بينما أفسح (أمير) المجال لـ (نورا) كي تتقدم هي في البداية إلى داخل الفيلا.

وبعد عبارات الترحيب القصيرة والخالية من معناها، قال (مالك):

- ألم ننتهِ بعد من ذلك الكابوس؟

إلا أن والده نظر إليه نظرة ذات معنى، فالتزم الصمت التام بينما قال هو موجهًا حديثه إلى (نورا):

- ما هو الشيء الأخير الذي أخبرتني أنكم بحاجةٍ إلى معرفته؟

في تلك الأثناء قام (أمير) من مكانه، ودون استئذان أخذ يتجول في بهو الفيلا متجهًا ناحية غرفة (منال) المجاورة للمطبخ في حين قالت (نورا):

- أريد أن أسأل عن أداة الجريمة التي طُعنت بها الضحية.

فقاطعها (مالك) بحدةٍ قائلًا:

- هي ليست ضحية أبدًا.

وهنا لم يكتفِ (أمين) بالنظر إلى ابنه بل حدثه بنبراتٍ حادة، وقال:

- لقد أخبرتك ألا تتحدث أبدًا حتى يطلب منك أحد أن تفعل ذلك.

فتمتم بعدة كلماتٍ خافتة وغير مسموعة، فأكملت (نورا):

- كيف وصلت آلة فتح الأظرف الخاصة بك إلى هنا على هذه الطاولة كما يدعي (مرزوق) أنه وجدها؟

أليس من الطبيعي أن تكون في مكانها بغرفة مكتبك؟

موقع الكتاب حراميه

فقطب (أمين) جبينه وكأنه يتذكر ما حدث، ثم أجاب بعفوية:

- نعم، نعم بالفعل في تلك الليلة أنا أحضرتها معي من الأعلى إلى هنا حيث كنت أقوم بفتح بعض الأظرف، ويبدو أنني نسيت أن أعيدها معي إلى المكتب.

وقبل أن تعقب (نورا) على إجابة (أمين) جاء صوت (أمير) عن بُعد يتساءل:

- لماذا هذا القفص خاليًا؟

فنظر إليه ثلاثتهم حيث يقف بجوار قفص العصافير المقابل لغرفة (منال) قبل أن يكسر (مالك) تعليمات والده للمرة الثالثة، ويقول ساخرًا وهو يضحك:

- يبدو أن كل النساء قد هجرن هذه الفيلا، ف. (منال) قُتلت، و(سعاد) طُردت، و(حنان) فرت وطلبت الطلاق، وحتى هذه العصفورة المسكينة قد اختفت منذ الصباح التالي لحدوث الجريمة.

وفي تلك اللحظة لمحت (نورا) في عيني (أمير) بريقًا تعرفه جيدًا، وانتظرت منه أن يلقي قنبلة على مسامع الجميع، من شأنها أن تقلب كل الأمور رأسًا على عقب، إلا أنه خيب ظنها حين قال:

- حسنًا أيها السيدان، أشكركما بشدة على وقتكما الثمين، وأرجو أن تسمحا لنا بالمغادرة الآن.

وغادر ومن خلفه (نورا) تحترق شوقًا لمعرفة حقيقة ما يخفيه.

وقبل أن يتحرك بسيارته، أمسكت هي بالمقود كي تمنعه من أن يفعل، وقالت:

- لن نبرح هذا المكان حتى تخبرني بما يدور في ذهنك.

وبرغم الظلام إلا أنها لمحت على شفتي (أمير) شبح ابتسامة تريد أن تُظهر نفسها، وهو يراقب ما تفعله ويقول:

- أنتِ بحق طفلة كبيرة.

فضحكت وقالت بفضول:

- (مرزوق) لم يقتل (منال) أليس كذلك؟

ولكن (أمير) أبعد يدها برفقٍ من على المقود، وتحرك بالسيارة، ثم نظر إليها وقال بغموض:

- بل قتلها، ولكنها كانت مقتولة من قبل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبالرغم من أن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل إلا أن (أمير) توجه بسيارته إلى مكتب التحقيقات الجنائية بعد أن وعد (نورا) بأنه سيشرح لها كل شيءٍ هناك.

وبالفعل ما أن وصلا إلى مكتبه حتى أشعل سيجارة، ثم بدأ في الحديث عن وجهة نظره لما حدث في تلك القضية قائلًا:

- كي أكون واضحًا ومحددًا سأتحدث عن طريق سرد الأحداث في مجموعة نقاط.

*رجل أعمال ثري لا يمتلك إلا ابنًا وحيدًا يشاركه في كل شيءٍ في البيت والعمل.

*يتزوج الابن الذي كان يعيش حياة الترف والاستهتار من سيدة تحاول أن تجعل منه شخصًا جيدًا.

*السائق الخاص بالسيد (أمين) والذي يأتمنه على الكثير من الأمور يتزوج هو الآخر من ابنة خالته الجميلة المثيرة والتي كان يحبها منذ سنوات الطفولة، وتنتقل للعيش معه في الفيلا حيث ستعمل هناك كـخادمة.

*بالإضافة إلى (أمين) وإلى (مالك) وزوجته (حنان) وأيضًا السائق (مرزوق) وزوجته (منال) محور هذه القضية، كانت تعيش في الفيلا (سعاد) التي تعمل كـطاهية.

*مع الوقت تنشأ علاقة غير شرعية بين (مالك) الغير مكترث لأي شيءٍ في الحياة سوى متعته الشخصية، وبين (منال) التي بهرتها حياة الرخاء والترف وأصبحت تتطلع إلى الثراء السريع.

*يعلم الجميع بالطبع بأمر تلك العلاقة، وتنفجر الأمور في الفيلا التي كانت هادئة ليصبح الجميع فوق صفيحٍ ساخن.

*يظهر رجل يقول أن (منال) قد باعته معلومات من شأنها إلحاق الضرر الشديد بـالسيد (أمين) وشركته.

*في صباح أحد الأيام تعثر (سعاد) على (منال) جثة هامدة، ويصبح الجميع مشتبهًا بهم، فكل واحدٍ منهم له مصلحة في أن تختفي تلك المرأة من على وجه الأرض إلى الأبد.

*وقدم الجميع حجة غيابه، وكما تعرفين بدأنا في تفنيد كل حجة، وأصبح (مالك) هو الأقرب لأن يكون القاتل.

*ثم اعترف (أمين) بارتكاب الجريمة، ولكن كلاهما ثبت أنه لم يفعلها، وأظهرت كاميرات المراقبة في محطة البنزين أن (مرزوق) ترك مدينة (العرين) وعاد فجرًا إلى الفيلا.

* وأخيرًا اعترف بالفعل بأنه هو من طعن زوجته في عنقها ليقتلها.

ولكن.

ثم صمت (أمير) متعمدًا كي يثير جنون (نورا) التي عقبت قائلة:

- خلف كل (لكن) تكمن كارثة.

فأكمل (أمير):

- وبعد أن راجعت كافة الأوراق والصور والتقارير والإفادات، عرفت أننا تجاهلنا العديد من النقاط المهمة جدًّا في تلك القضية.

وقد تعمد أن يستخدم كلمة (تجاهلنا) كي لا يُحمل (نورا) مسؤولية ذلك الخطأ، وأكمل:

- أولًا: كان استعجال تقرير الطبيب الشرعي الخاص بتشريح جثة (منال) هو الخطأ الأكبر، فقد اعتمدنا على وجود سيدةٍ ممددة وفي رقبتها سكين لن يحتاج إلى مجهودٍ من الطبيب الشرعي لتحديد سبب الوفاة، وهذا الأمر صحيح في 99.9% من القضايا إلا هذه القضية، لكنني أراهنكِ

أن الطبيب الشرعي إن حصل على فرصة أطول للعمل لكان تقريره مختلفًا تمامًا.

ثانيًا: كان هناك بعض المؤشرات التي من الواجب أن تثير فضول المحققين، وأيضًا مررنا عليها دون تركيزٍ كـالورود الذابلة في غرفة الضحية، ومرض (سعاد) وآثار الاعتلال التي ظهرت على (أمين ومالك) بدرجةٍ أقل في صباح يوم اكتشاف الجثة، وكذلك الشرفة التي تم فتحها عن عمدٍ بمجرد اكتشاف جثة (منال).

ثالثًا: التسجيل الصوتي الذي وضعته (حنان) في مسرح الجريمة كي يكون دليلًا على خيانة زوجها، يبدو أنه لم يكن كاملًا، فقد سجل لحظة وصول (مرزوق) ولكنه لم يسجل طعنه لزوجته إلا أنه سجل ما هو أهم من ذلك، وهو سعالها المتواصل.

رابعًا: عدم إبداء (منال) أي رد فعلٍ ولو حركة بسيطة أو حتى صوت خافت عندما كان (مرزوق) يتحدث معها ويهددها بالقتل، أمرٌ مريب جدًّا، وجعلني أفكر في أنها ربما كانت ميتة من قبل.

خامسًا: العصفور الذي اختفى من قفصه، والذي كان بشهادة الجميع متواجدًا في مكانه طوال الليلة السابقة، فلا بد أن أحدًا هو من أخرجه من هناك بالطبع بعد أن وجده ميتًا هو الآخر.

سادسًا: إصرار (حنان) على أن تقضي ليلة وقوع الجريمة في الشرفة في الهواء الطلق بالرغم من أن (أمين) تعهد لها بطرد (منال) خارج الفيلا، وأن المهزلة التي كانت تحدث ستنتهي مهما كان الثمن، وبالرغم من خلود (مالك) إلى النوم بعد أن اعتذر لها.

لم تفهم (نورا) ما الذي يقصده (أمير) وعرف هو من نظراتها هذا، فسألها:

- أين تعمل (حنان)؟

فأجابته:

- في محطة تحلية مياه المدينة.

وأيضًا ظلت نظراتها تحمل نفس الدهشة، فسألها مرة أخرى:

- وماذا يستخدم الخبراء لتحلية مياه الشرب؟

فأجابت بتلقائية:

- غاز الكلور.

وعند هذا الحد ضربت بقبضتها على المكتب، وقامت من على الكرسي، وقالت بذهول:

- (حنان) هي من قتلت (منال)!

ثم أردفت دون وعي لما تقوله:

- أنت حقًّا أروع رجل على وجه الأرض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تجد (نورا) أي تفسيرٍ لتلك المشاعر التي عصفت بها في صباح اليوم التالي عندما كانت تراقب (أمير) وهو يتحدث مع الصحفية (ريم الحكيم) في مقر الجريدة التي تعمل بها.

هل هي تغار؟

لا إجابة محددة لهذا السؤال.

هل هي تحب (أمير)؟

من قبل أجابت بالنفي القاطع، واليوم هي أيضًا لا تمتلك إجابة محددة.

ولذا استمرت في النظر إليه، وهو يقول:

- لقد وعدتكِ بسبقٍ صحفي في عملية (خادمة القصر) وأنا هنا لأفي بما وعدتكِ به، ولكن أرجو ألا تنشري الخبر حتى أمنحك الإذن بذلك.

ثم تطرق النقاش إلى أمورٍ فرعية إلا أن (أمير) أنهى الحديث سريعًا متعللًا بالكثير من الأمور التي يجب أن ينجزها.

وفي الطريق ظلت (نورا) ملتزمة بالصمت وبدت شاردة، ويبدو أن (أمير) خمن ما تفكر به، فهو بالطبع قد لمح نظراتها إليه وهو يتحدث مع (ريم) وميز على الفور أنها ليست نظرات عادية، ولذا قال:

- الآن سنذهب لزيارة (حنان) في مقر عملها، ولكن أخبريني، هل أنا على صوابٍ حين أخبرت تلك الصحفية بحل القضية قبل أن نوجه اتهامًا رسميًّا إلى (حنان)؟

وهل حقًّا ستفي بتعهدها، ولن تنشر الخبر؟

فأنا أراها مجرد فتاة صغيرة طائشة.

وكانت الجملة الأخيرة موجهة تحديدًا إلى الأنثى داخل (نورا) بخلاف سابقتها التي كانت موجهة إلى الشرطية داخلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في قلب محطة تحلية المياه الخاصة بالمدينة والتي تقع على أطرافها في مقابل ضفة النهر العذب، توجه المحققان (أمير ونورا) مباشرة إلى مكتب (حنان) التي فوجئت تمامًا بوجودهما أمامها، وتسمرت في مكانها حتى أنها لم تجب على تحيتهما لها، وكان معها في المكتب أحد زملائها الذي ظل يراقب الموقف بحيرةٍ دون أن يفهم ما يحدث، وعندما هم بالانصراف، قال (أمير) معرفًا عن نفسه:

- أنا المقدم (أمير الوكيل) مدير مكتب البحث الجنائي بالمدينة.

فقال له الرجل:

- أهلًا بك يا سيدي، وأنا الدكتور (عصام فكري) رئيس قسم التحلية الخاصة.

فتجاهل (أمير) تمامًا وجود (حنان) التي جلست على أقرب كرسي لها بينما ظلت (نورا) تراقب الموقف بحرصٍ تام، وتوجه (أمير) بسؤالٍ مباشر إلى الدكتور (عصام):

- هل يمكن أن تخبرني يا سيدي، عن أعراض التسمم بغاز الكلور؟

فأجاب الرجل على الفور:

- بالطبع يا سيدي، فهذا هو اختصاص عملي.

ثم بدأ يشرح الأمر بطريقةٍ علميةٍ بسيطة وواضحة:

- العلامات الأولى للتسمم البسيط بغاز الكلور هي:

* الانزعاج وتهيج الغشاء المخاطي في الجهاز التنفسي.

* زيادة إفراز اللعاب، وتقلص الأحبال الصوتية.

* السعال وصعوبة التنفس.

* الغثيان والمرارة في الفم.

* الصداع.

* تلف بسيط في العين على هيئة احمرارٍ وتدميع.

وعلى الفور قالت (نورا):

- (مالك).

أي أنها تقصد أن تلك الأعراض التي سمعتها للتو قد ظهرت على (مالك) فنظر إليها الدكتور (عصام) دون أن يفهم هذا المعنى، ثم أكمل:

- وقد تكون الأعراض أشد حدة، وتتطلب الرعاية الطبية السريعة حيث تتزايد أعراض هزيمة الجهاز التنفسي، وتزداد نوبات السعال الجاف، والإحساس بالاختناق، وآلام في الصدر، وانتهاك عملية تبادل الهواء أثناء التنفس، وكذلك التأثير على الجهاز العصبي.

وكالمرة السابقة، قاطعته (نورا) قائلة:

- (سعاد).

وتجاهل الدكتور (عصام) ما قالته (نورا) وأكمل:

- وأما شكل التسمم الحاد، والذي نطلق عليه اسم تسمم البرق لأن تأثيره يكون سريعًا وقاتلًا حيث يتم حظر التنفس، ويصبح من المستحيل التنفس نتيجة تشنج الحنجرة المفاجئ، فيفقد المريض الوعي، ويسقط في خفوتٍ عميق وتتورم عروق الوجه والرقبة، وتحدث نوبة من التشنجات، ويفقد المريض السيطرة على عضلاته وأعضائه حتى يموت.

وصمت الرجل ثم نظر إلى (نورا) وكأنه ينتظر منها أن تقاطعه كما فعلت في المرتين السابقتين، فقالت هي على الفور:

- (منال).

وقبل أن يكمل الدكتور (عصام) كلامه، شكره (أمير) ثم طلب منه مغادرة المكان وتركهما بمفرهما مع (حنان) وما أن غادر الرجل حتى أطبق على المكان صمت مريب، لم يشقه سوى

(حنان) قائلة بثقةٍ وثبات:

- ماذا كنتما تتوقعان مني وأنا أراها تسلبني كل شيء، وتدمر حياتي بتعمدٍ وبرودٍ وبطء.

نعم لقد قتلتها، واخترت لها موتة تستحقها، فلا أصعب من ألا تتمكن من أن تُدخل إلى صدرك كمية صغيرة جدًّا من كل هذا الهواء الذي يملأ الكون كي تتنفسها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادرت (حنان) مقر عملها بصحبة (أمير ونورا) إلى مبنى البحث الجنائي بعد أن اعترفت لهما تفصيلًا بأنها هي من قتلت (منال) بأن وضعت لها غاز الكلور السام في غرفتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مقهى هادئ على ضفة النهر، جلس (أمير) بملامحه الجليدية، و(نورا) وعلى وجهها ابتسامة رقيقة، وكل واحدٍ منهما يتناول قضمة من قطعة الحلوى التي أمامه حتى قالت (نورا):

- وكالعادة تأبى إلا أن تضع بصمتك على قضية نعمل عليها.

فنظر إليها (أمير) بود، وقال:

- أنتِ من فعل كل شيءٍ هذه المرة، وأنا فقط قمت بترتيب بعض الأفكار.

فسألته (نورا):

- ماذا تتوقع سيكون وضع (مرزوق)؟

فأجابها وهو يهز كتفيه:

- لا أعلم بالتحديد، ولكنه بالطبع سيعاقب بالسجن لفترةٍ وجيزة.

وقبل أن يكمل ما كان يريد أن يقوله رن هاتفه، فتناوله، وأجاب بنبراتٍ كلها احترام:

- مرحبًا يا سيادة اللواء، كيف حالك؟

ومضت لحظات راقبت فيهن (نورا) ملامح (أمير) وأصيبت بالذهول، فهذه هي المرة الأولى التي ترى على وجهه كل تلك العلامات التي تدل على الخوف والهلع مما جعلها تقطب جبينها، خاصة وأن (أمير) ظل يستمع إلى ما يُقال له دون أن ينبس ببنت شفة حتى أنهى المكالمة بجملةٍ مبهمة:

- سأكون عندكم على الفور يا سيدي.

ثم نهض مسرعًا من على كرسيه وأخرج مبلغًا من جيبه تركه على الطاولة، وقال لـ (نورا) التي كانت تتبعه:

- إنه اللواء (سعد الهاشمي).

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وقال بحزن:

- وقد أخبرني أن (خالدًا) مفقود منذ ثلاثة أيام.

(تمت بحمد الله)

د. شريف صبري

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

الفهرس:

أمير الوكيل.. (حارس جهنم)

-1-

-2-

-3-